الطرائق التنظيمية والتربوية عند الإسماعيلية المتعلقة بالدعاة والمدعوين

د. أحمد أحمد علي الأنسي
أستاذ أصول التربية المشارك
كلية التربية – جامعة صنعاء
عنوان المراسلة: ahmad.alansi201518@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث الى الوقوف على الطرق والاساليب التنظيمية والتربوية عند الإسماعيلية والتي اتبعوها في تنظيم وتحديد عمل الدعاة وتنظيم وتحديد مهامهم ومراتبهم، وكذا الطريقة التنظيمية والتربوية المتبعة في تحديد مراتب المدعوين، وتحديد الموضوعات الفكرية التي تقدم لهم في كل مرتبة، إستخدم الباحث المنهج التاريخي وحرص على اخذ المعلومات من مصادرها الإسماعيلية إن وجدت مستعيناً بما كتب عن الإسماعيلية في مراجع ثانوية، هدف الباحث من هذا البحث إبراز الجهود التي بذلها الإسماعيلية في نشردعوتهم والتنظيم الدقيق لعمل الدعاة ،وعملية إستقطاب المدعوين، والشروط الدقيقة التي وضعتها الدعوة في الدعاة وكذا الشروط والمعايير التي تراعى في إختيار المدعوين والموضوعات الفكرية التي حددها الدعاة للمدعوين في كل مرتبة من المراتب وهي موضوعات تنسجم مع التأويل الباطني لكل مايتعلق بالشريعة الاسلامية وهو الاساس الذي يقوم عليه الدعوة، وقد خلص الباحث إلى جملة من النتائج أبرزها أن التنظيم الدعوي والتربوي عند الإسماعيلية قام على نظام فكري دقيق منضبط ومحكم وهو جزء اساس من النظام الفكري الذي ينظم الدعوة في كل جوانبها وهو من اسباب نجاحها وان اهم عمل تنظيمي دعوي وتربوي هو العمل الإستقطابي الذي يقوم به الدعاة فهم يبذلون جهداً كبيراً ويقومون بعمل شاق ومضني.

وبناءً على النتائج طرح الباحث جملة من التوصيات أبرزها توحيد جهود العاملين في مجال الدعوة الإسلامية وتنظيم وترتيب أولويات ومهام الدعوة في الوقت الحاضر مع الإستفادة من وسائل الإتصال الحديثة في خدمة الدعوة الإسلامية

والإعتماد على التخطيط الإستراتيجي الدقيق في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الإفتراآت والشبه التي يثيرها أعداء الإسلام والرد الموضوعي عليها والعمل على تحصين النشئ من كل الإنحرافات الفكرية من خلال تضمين المناهج الدراسية موضوعات تعمق العقيدة الصحيحة وتحارب الدجل والتضليل.

Organizational and Educational Methods Of Ismailia Preachers and the Followers

Abstract:

This study aims to investigate the organizational and educational methods of Ismailia preaching that have been adopted in organizing and defining the work of the preachers and their duties and ranks, as well as the organizational and educational methods which have been adopted in defining the levels of the followers, in addition to the intellectual topics provided to them in each level. The researcher adopted the historical method and endeavored to take Information from Ismailia sources, if any, making use of books about Ismailia in secondary references. The primery objectove of this study is to highlight the efforts of Ismailies in their preaching activity and the accurate organization of preaching and preaching activities, and the way used in attracing their followers, and the provisons defined by preaching for being preachers, conditions and criteria that should be taken into account in the selection of the followers or invitees, intellectual themes identified by preachers for the followers in each level; the themes that fit Internal interpretation of Islam and Sharia upon which the preaching is based. The researcher has concluded that the organizational and educational methods of Ismailia preaching has an accurate-regulated and strict intellectual system which is the main part of the Ismailia intellectual preaching system that regulates the preaching in all its aspects and is one of the rea-

sons behind their success. In addition, the most important regulatory action of Ismailia preaching is the process of attracting followers by preachers who make great efforts and hard work.

Based on the findings, the researcher proposed a certain number of recommendations, formost of which are:

- Unify of workers in the field of Islamic preaching or preaching.
- Organize prioritize the tasks of preaching at present time, making use of the modern means of communication in the Islamic preaching.
- Adopt careful strategic planning in spreading the Islamic preaching.

Respond objectively to Lies and objections raised by antagonists of Islam, as well as work protecting youth from all the intellectual deviations through including topics that can deepen the true faith in the curricula and encounter hypocrisy and deception.

مقدمة:

إن الفكر التربوي الذي تركه السلف للخلف ثري جدا ، وبالرغم من اتجاه الباحثين إلى دراسته والاستفادة منه؛ إلا إنه ما يزال بحاجة إلى باحثين جادين للغوص فيه لدراسته وعرضه وإبرازه وجعله في متناول الباحثين والمهتمين، خدمة للعلم وأداء للمسؤولية الملقاة على الباحثين في مجال تاريخ التربية.

والفكر التربوي في التاريخ الإسلامي رغم انطلاقة الباحثين في تناول موضوعاته إلا أنه زاخر بالموضوعات التي ما تزال تنتظر الباحثين لدراستها واستخراج كنوزها وتقديمها للمكتبة التربوية، ولا شك أن التنوع والتعدد المذهبي وأحيانا التناقض والتضاد الفكري كان له دور في تنشيط الحركة العلمية حيث كان التنافس بين أتباع المذاهب المتعددة، والتنافس بين أتباع العقيدة الإسلامية

الصحيحة وبين من يحملون الأفكار والمعتقدات المخالفة كان دافعا لمزيد من التأليف والتصنيف والمناظرات والردود العلمية للانتصار للمذهب أو الفكر أو الدفاع عنه، كل ذلك أثرى المكتبة العلمية الإسلامية بالعديد من المؤلفات الموافقة والمخالفة في مجالات العلوم المختلفة.

ومن الفرق التي كان لها حضور في بعض بلاد العالم الإسلامي وأحدث فكرها – بما فيه من مبادئ وعقائد مخالفة لما عليه الإسلام الصحيح – جدلا كبيرا، وقد أنتج دعاتها مؤلفات في علوم مختلفة، وكان لهم صولات وجولات مع مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية السنية، هذه الفرقة هي فرقة الإسماعيلية التي جاءت بنظام فكري خاص بها أثار جدلا وخلافا بل وأثار عداء من كل المذاهب الإسلامية، وهذا الجدل والخلاف انعكس في المؤلفات والتصنيفات العلمية سواء لحملة هذا الفكر المخالف وهم الإسماعيلية أو لخصومهم، وهم أتباع المذاهب السنية ومعهم الزيدية من فرق الشيعة.

والباحث في هذا البحث يحاول أن يقف على حقيقة التنظيم الفكري للإسماعيلية المتعلق باختيار الدعاة وتحديد وظائفهم وتنظيم عملهم مع المدعوين، ويقف على كيفية استقطابهم للأتباع وعلى الشروط والمواصفات التي يشترطونها في الراغب في الانتماء إلى الدعوة، وعلى كيفية التعليم ونوعيته لهؤلاء الأتباع.

ومهما يكن خلاف الباحث واختلافه الفكري عامة والعقدي خاصة معهم فإن ذلك لا يمنع من تناول أفكارهم بالبحث والدراسة العلمية الموضوعية للوقوف على حقيقة التنظيم الذي رسمته الدعوة أو الحركة الإسماعيلية لدعاتها ولأتباعها والذي سيلمس القارئ جانبا منه عند اطلاعه وقراءته لموضوع البحث.

ويمكن القول إن نجاح أي فكر أو معتقد يعود بالدرجة الأولى إلى جانبين اثنين:

الأول: أن لا تكون ممارسة العمل ارتجالية وعشوائية، بل لا بد أن تكون مخططا لها بدقة متناهية، تكفل لها النجاح ولا تخضع لاجتهادات الأفراد.

الثاني: من يوكل إليه ممارسة عمل محدد يعرف تماما دوره ومهمته ووظيفته، فيؤديها بإتقان ولا يتدخل في مهام ووظائف الآخرين، وهذان الجانبان راعاهما مهندس أو صانع أو مخترع أو مصمم الدعوة الإسماعيلية فقام بتحديد الدرجات التي هي المراتب للدعاة وتحديد الأعمال التي يقوم بها الداعي في المرتبة المكلف بها دون زيادة ولا نقصان ولا تدخل أو تداخل في المهام بين الدعاة أو بين المراتب، وكذا تحديد الخطوات التي يمر بها المدعو أو المستهدف أو المستقطب من الخطوة الأولى التي يسمونها جذب الأنفس المستجيبة، إلى مرحلة التمهيد، فمرحلة قبول الشروط التي يطرحها الداعي، ثم أخذ العهد من المدعو، وبعدها يطلقون على من أعطى العهد مستجيبا أو مؤمنا، فيتحول أو يدرج في المرتبة أو الدرجة أو المنزلة الأولى من منازل الدعوة لتلقي الأفكار والمسائل العلمية ذات الصلة بالدعوة، فإذا استكملها يطلب منه أن يدفع النجوى وهو مبلغ من المال يحدده الداعي ليتمكن من الانتقال إلى المنزلة أو المرتبة الثانية من منازل أو مراتب الدعوة، وهكذا يتدرج في أخذ الأفكار والمعلومات التي تتسع وتكبر موضوعاتها ومسائلها كلما تدرج في هذه المنازل أو المراتب حتى يصل إلى المرتبة السابعة أو التاسعة أعلى المراتب عند الإسماعيلية، علما أن كل مرتبة تتضمن سبع درجات أو ما يمكن أن يسميها الباحث بالفئات التي تكون داخل المرتبة أو الدرجة الواحدة.

وفي مقابل ذلك قام بتحديد الوظائف والمهام التي توكل إلى الدعاة حسب مراتبهم ودرجاتهم الوظيفية، فمهمة الاستقطاب للمستهدف موكولة إلى فئة من الدعاة مهمتهم هي البحث عن المستهدفين في أماكن ومجالس عامة أبرزها حلقات العلم، ومن ثم إقناع المستهدف بقبول الدخول في الدعوة، ثم تتسلمه فئة ثانية ذات مرتبة أو درجة أعلى من سابقتها، وهكذا حتى يصل الأمر أو المهمة أو المنزلة في العمل الدعوي إلى الداعي الأول على مستوى جزيرة الدعوة.

وبالنظر إلى هذه العملية التنظيمية الدعوية والتربوية عند الإسماعيلية – بغض النظر عن عقيدتهم المخالفة والمناقضة للعقيدة الإسلامية فإن العملية

التنظيمية لدعوتهم قامت على نظام فكري يعتقد الباحث أنه كان نظاما محكما، ولذلك كانت دعوتهم على مستوى الأداء التنظيمي على درجة من الدقة والانضباط والترتيب المحكم المتقن، وكان هذا التنظيم الذي هو جزء من النظام الفكري الذي تقوم عليه الدعوة من أسباب النجاح التي حققتها بالرغم من كثرة المخالفات والتناقضات مع العقيدة الصحيحة هذا التناقض والخلاف هو الذي جلب عليهم العداوات لكثرة المخالفات التي نسبت إليها، إضافة إلى التنظيم المتعلق بالأدوار والمهام والوظائف التي أنيطت بالدعاة فهم الذين حملوا هذا الفكر أو المعتقد وبذلوا أقصى جهدهم العقلي والنفسي والبدني في إقناع المدعوين بقبوله واعتناقه، وهؤلاء الدعاة كانوا على استعداد دائم للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل الدعوة وفكرها، والالتزام الصارم بتنفيذ ما أوكل إلى كل واحد منهم من مهام ووظائف دون زيادة ولا نقصان، ودون أي تدخل في مهام ووظائف زملائه الآخرين، وكان هذا في اعتقاد الباحث من أسباب نجاح دعوتهم ونجاح دعاتهم في الاستمرار في التواجد بل وفي الوصول إلى الحكم في بعض الأحيان على الرغم من المخالفة لكل من حولهم من المسلمين فكرا وعقيدة.

أسئلة البحث:

يسعى الباحث إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

- ما الطرق التنظيمية والتربوية عند الإسماعيلية المتعلقة بالدعاة والمدعوين؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

1 - ما الطريقة التنظيمية المتعلقة بترتيب الدعاة وتحديد وظائفهم على مستوى الدعوة كلها؟
2 - ما الطريقة التنظيمية والتربوية المتعلقة باختيار الدعاة وتحديد وظائفهم؟
3 - ما الطريقة التنظيمية والتربوية المتعلقة باختيار المدعوين؟
4 - ما الطريقة التنظيمية والتربوية المتعلقة بتحديد مراتب المدعوين وموضوعات كل مرتبة؟

حدود البحث: يقتصر هذا البحث من حيث الفترة الزمنية على الفترة التي حكمت فيها الدولة الفاطمية (الإسماعيلية) في المغرب ومصر والفترة التي أعلن فيها الكيان السياسي الأول للإسماعيلية في اليمن (268هـ –303هـ)، ويقتصر موضوعيا على الإجابة عن أسئلة البحث.

منهج البحث:

لما كان المنهج التاريخي هو أنسب المناهج لهذا البحث فقد اعتمده الباحث منهجا لهذه الدراسة، وذلك وفق الإجراءات الآتية:

1 - الوقوف على المادة العلمية ذات الصلة بالموضوع من مصادر إسماعيلية وتوثيقها توثيقا مباشرا من تلك المصادر التي توفرت للباحث وأمكنه الحصول عليها.

2 - التوثيق بطريق غير مباشر نقلا عن مؤلفين وباحثين في موضوعات متعلقة بهذه الدعوة تمكنوا من الوقوف على المعلومات من المصادر الرئيسة التي لم يتيسر للباحث الوقوف عليها.

3 - التوثيق من مصادر غير إسماعيلية عندما لا يجد مادة علمية في المصادر الإسماعيلية، وعندما يرى الباحث لذلك ضرورة.

4 - التوثيق من المراجع الإسماعيلية وغير الإسماعيلية في حال عدم الحصول على المادة العلمية من المصادر الإسماعيلية أو المصادر غير الإسماعيلية.

5 - قيام الباحث بالتعليق أو التعقيب عندما يرى ضرورة ذلك دون الإخلال بالنصوص التاريخية التي يوردها إما حرفيا كما جاءت في المصدر أو المرجع فيضعها بين علامتي تنصيص، أو يتصرف فيها دون الإخلال بمضمون النص وعندها لا توضع بين علامتي تنصيص.

6 - ترقيم الآيات القرآنية وذكر سورها، وتخريج الأحاديث من مصادر الحديث المشهورة بذكر اسم المؤلف، واسم المصدر الحديثي، ورقم الحديث، والجزء والصفحة للمصدر الحديثي.

مصطلحات البحث:

التعريف الإجرائي للطريقة التنظيمية:

يعرف الباحث الطريقة التنظيمية إجرائيا بأنها: تطبيق الأفكار والمعلومات المحددة مسبقا المتعلقة بتنظيم الدعوة، بدءا من اختيار الدعاة، وتنظيم عملهم مع المدعوين، مرورا بتنظيم عملية استقطاب المدعوين، وانتهاء بتحديد مراتب المدعوين وتحديد الموضوعات الفكرية التي تعطى للمؤمنين في كل مرتبة.

التعريف الإجرائي للطريقة التربوية:

يعرف الباحث الطريقة التربوية إجرائيا بأنها: تطبيق الداعي للشروط والمعايير والتعليمات والطرائق والأساليب التربوية المحددة مسبقا مع المدعو بدءا من عملية الاستقطاب وصولا إلى آخر المراتب.

تعريف الإسماعيلية:

"الإسماعيلية طائفة من الإمامية، وهي منبثة في أقاليم متفرقة من البلاد الإسلامية، وبعضها في جنوب أفريقيا ووسطها، وبعضها في بلاد الشام، وكثير منها في الهند، وبعضها في باكستان، وقد كانت لها في الإسلام دولة، فالفاطميون في مصر والشام كانوا منهم، والقرامطة الذين سيطروا وقتا على عدة أقاليم إسلامية كانوا منهم" (محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، ص52).

والإسماعيلية هي إحدى الفرق الشيعية التي تقوم على نظام فكري يميزها عن غيرها من الفرق الشيعية فضلا عن السنية، وتتفق مع بعض الفرق الشيعية في بعض المبادئ والأفكار والمعتقدات وخاصة الإمامية الإثناعشرية، التي تختلف معهم في عدد الأئمة وفي الإمام المهدي ومسائل أخرى، فالإسماعيلية هم الذين قالوا" بأئمة الستة المذكورين، وأن السابع هو إسماعيل بن جعفر الصادق، وليس موسى الكاظم كما يقول غيرهم، وهم ثلاث فرق: الأولى: قالت: إن الصادق مات قبل ولده إسماعيل، والثانية: قالت: إن إسماعيل مات قبل أبيه الصادق، ولكنه قبل موته نص على ولده محمد بن إسماعيل وهؤلاء هم القرامطة. الثالثة: قالت: إن

إسماعيل مات قبل أبيه، ولكن الذي نص على إمامة ولده محمد هو جده الصادق لا أبيه إسماعيل" (محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، ص34).

"وسميت الإسماعيلية بهذا الاسم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذي لم تعترف الشيعة الاثناعشرية بإمامته، بينما وقف الإسماعيليون عند إمامته فسموا لذلك بالسبعية. وإسماعيل هو الابن الأكبر للإمام السادس جعفر الصادق الذي توفي في حياة والده، فرأت الإثنا عشرية أن والده جعفر الصادق نقل الإمامة إلى أخيه موسى الكاظم واعتبروه الإمام السابع" (حسن صادق، جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات، ص88).

وفيما يتعلق ببداية انتشار الإسماعيلية في اليمن فيرى نشوان الحميري" أن أول من نشرها باليمن من الإسماعيلية الداعي أبو القاسم أبو الحسن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي..، حيث أمره الهادي أن يقصد اليمن وينزل بعدن لاعة في مغرب اليمن...، وبعث معه علي بن الفضل الخنفري إلى أرض يافع..، فسار المنصور إلى جبل مسور واستفتحه وبنى فيه حصنا ونزل به وغلب على تلك الناحية..، وسار ابن الفضل إلى أرض يافع فاشتدت وطأته باليمن واستولى على أكثر مخاليفه، وأعلن بالكفر، وأحل جميع المحرمات، وخرب المساجد، وكان يدعي أنه نبي..، وهو أول من سن القرمطة في اليمن" (الحور العين، نشوان بن سعيد الحميري، ص251–254) بتصرف يسير.

لكن كلام نشوان لا يدل على أن الإسماعيلية لم يكن لها وجود في اليمن قبل مجيء ابن حوشب إليها.

ويشير بعض الباحثين إلى أن ابن حوشب وابن الفضل كانا على مذهب الإثنا عشرية حيث كانا يدعوان إلى الحسن العسكري قبل تحولهما إلى الإسماعيلية (عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية (الدعوة والعقيدة) ج1، ص271).

وينقل بامخرمة قول العلماء في أن علي بن الفضل "كان شيعيا اثنا عشريا وكان ساقطا في أول أمره لا شهرة له، غير أنه كان لبيبا أديبا ذكيا شجاعا

فصيحا" (الطيب با مخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، المجلد الأول، ص1380).

ويذكر الشماحي أن علي بن الفضل بعد أن تمكن من التغلب على معظم اليمن تحول تفكيره من الإسماعيلية إلى دعوة تهدف إلى توحيد اليمن والقضاء على الدعوات المذهبية مما أثار عليه الزيدية والإسماعيلية والمجتهدين اليعفريين والزياديين، فأثاروا ضده دعاية راجت بين الدهماء وامتدت إلى اليوم، وهي لا وجود لها ولا يقبلها الذوق (عبد الله الشماحي، اليمن الإنسان والحضارة، ص109).

وهناك من المعاصرين اليمنيين خاصة أصحاب التوجه اليساري من يطلق على ابن الفضل وصف الثائر، وهم إما أنهم ينكرون التهم التي ذكرها كثير من المؤرخين اليمنيين القدماء أو المحدثين، أو أنهم لا يلتفتون إليها لأنهم يتبنون تلك الأفكار والممارسات أو كثير منها حتى لو لم يجاهروا بذلك.

أولاً– الطريقة التنظيمية المتعلقة بترتيب الدعاة وتحديد وظائفهم على مستوى الدعوة كلها:

قبل الحديث عن الطريقة التنظيمية ذات الصلة بترتيب الدعاة وتحديد وظائفهم على مستويات الدعوة كلها، لا بد من الإشارة إلى المكانة والأهمية التي توليها الدعوة الإسماعيلية للدعاة، باعتبارهم العمود الفقري المعول عليه في نجاح الدعوة الإسماعيلية واستمرارها، نظرا للأدوار المهمة التي توكل إليهم ويقومون بتنفيذها، سواء عندما تكون لهم دولة ويمارسون عملهم علنا، أو عندما لا تكون لهم دولة ويمارسون عملهم في سرية.

ويشير أحد الباحثين الاسماعيليين إلى النظام الذي اعتمده الأئمة في تنظيم دعوتهم بالاعتماد على الدعاة، مبينا أن نجاح الدعوة عامة سببه هو اعتماد الأئمة"على دعاة محنكين علماء وفلاسفة، ذوي مواهب خارقة استطاعوا بهم أن ينشروا الدعوة والفكرة الإسماعيلية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ويصف الدعاة بأنهم أساتذة تخطيط هذا الفن في العالم، وأنهم جعلوا تنظيمات الدعوة من صميم العقيدة وفلسفتها التي تقوم على نظريات رياضية فلسفية فلكية

مستقاة من نظم الكون والمخلوقات التي تحيط بالإنسان، فتوصلوا إلى جعل الدعاة الذين هم عصب الدعوة الحساس وشريانها الحيوي من حدود الدين، وأسبغوا عليهم هالة من القدسية والتعظيم" (مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص26–27).

إن إطلاق وصف المواهب الخارقة على الدعاة هو من قبيل المبالغة التي تعود عليها الشيعة عموما –والإمامية الإسماعيلية على وجه أخص– سواء في إطلاقها على أئمتهم أو على دعاتهم أو على تفاصيل دعوتهم نفسها، لكنهم كانوا يبذلون جهودا جبارة في سبيل نشر دعوتهم ورفدها بدماء جديدة، والحفاظ عليها من كل ما يهدد وجودها، والعمل الجاد والمضني في سبيل ظهورها بل ووصولها إلى السيطرة والحكم.

وبالنظر في التنظيم الدعوي الإسماعيلي وترتيباته نجد فيه بيانا واضحا لمدى الاعتناء الذي كانوا يبذلونه لاختيار الدعاة الذين على كاهلهم وعلى أساليبهم العلمية وبياناتهم القائمة على الإقناع والمعتمدة على المنطق والعقل يقوم نجاح الدعوة (عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، ص124). وفيما يلي عرض للطريقة التنظيمية للدعوة بجميع مستوياتها وطريقة تنظيم عمل الدعاة في كل مستوى، ومن ثم معرفة موقع الدعاة الإسماعيلية مع تحديد المهام والوظائف للمواقع والمراتب الدعوية والعلمية والتربوية فهناك مراتب تتعلق بالتنزيل والتأويل والتنفيذ (الأمر) وهي بمثابة الجذور والقواعد التي تقوم عليها الدعوة من بدايتها وهي كما يلي:

1– الطريقة التنظيمية للدعوة والدعاة في عهود النطقاء (الأنبياء):

أ–الناطق (النبي):

وهو عند الإسماعيلية النبي الذي ينزل عليه الوحي ويبلغ الناس ما نزل عليهم، ولهذا الناطق رتبة التنزيل.

"ونسبة النطقاء كنسبة القمر من الشمس، فنور القمر من نور الشمس بجريانه في الثماني والعشرين منزلة، كذلك النطق من نور العقل وجريانه على

اللسان في ثمانية وعشرين حرفا، كل هذا لحكمة بالغة وتقدير من العزيز الحكيم" (شهاب الدين أبو فراس، مطالع الشموس في معرفة النفوس، الرسالة الأولى ضمن أربع رسائل إسماعيلية، قدم لها وحققها د عارف تامر، ص14).

ب- الأساس (الوصي):

وهو عند الإسماعيلية حواري النبي فلكل نبي حواري وحواري النبي محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم عندهم هو علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهو وحده الذي يعلم التأويل ويتولى مسؤولية التأويل وله رتبة التأويل. (مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص19 من مقدمة الطبعة الأولى).

2- الطريقة التنظيمية للدعوة والدعاة في عهود الأئمة:

أ- الإمام:

وهو الذي يعلم التأويل وينتقل إليه من الأئمة الذين سبقوه، وله رتبة الأمر.

وهذا يعني أن تنظيم الدعوة عند الإسماعيلية يبدأ من الإمام الذي هو عميد الدعوة، فهو الذي يقسم الدعاة إلى أقسام عديدة كل حسب مقدرته، وضمن اختصاصه، بحيث يتخذ التقسيم شكلا هندسيا هرميا ليكون بتنظيماته وفروعه مشابها لتقسيمات السنة إلى فصول وأشهر وأيام وساعات. (مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، صفحة 19 من مقدمة الطبعة الأولى).

"وبإمعان النظر في فلسفاتهم الفكرية ستجدها على تباين مشاربها لا ترمي إلا إلى هدف واحد وهو تركيز الولاء المطلق للإمام المطلق وحسب، فالإمام لا سواه هو النتيجة الذي تنتهي إليه كل المقدمات، والركيزة الذي تدور حوله مفاهيم الدين ودلالات العقيدة" (علوي الجبل، الشيعة الإسماعيلية رؤية من الداخل، ص101).

ويذكر بعض الباحثين الاسماعيليين أنه "قد يكون من الصعوبة بمكان تحديد صلاحيات الإمام في سطور قليلة أو صفحات محدودة ويكفي أن نعلم أنها

رتبة تمثل القيادة الزمنية والدينية العليا المطلقة فهي أعلى سلطة في الدعوة وأرفعها بعد الناطق وبعد الوصي" (عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، ص124–125).

ويزيد أحد الباحثين الاسماعيليين هذا الأمر المتعلق بالإمام إيضاحا فيذكر أن"الإمام بمركز السنة، واثني عشر شهرا مثل الدعاة الذين هم في اثني عشر جزيرة التي هي: العرب، الترك، البربر، الزنج، الحبشة، خزر، الصين، فارس، الروم، الهند، السند، الصقالبة. وهم (أي الدعاة) رؤساء الدعوة فيها (في الجزر) ولكل واحد من هؤلاء الدعاة ثلاثون داعيا في قطره، ولكل داع من هؤلاء أربعة وعشرون داعيا مأذونا ومكاسرا" (مصطفى غالب، تاريخ الدعوة، مرجع سابق، ص19 من مقدمة الطبعة الأولى).

علما أنه "قد يتهيأ للإمام إقامة هذه الحدود وقد لا يتسنى له ذلك لفقدان الساحة من أصحاب الكفاءات، أو بسبب أحوال طارئة" (عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، ص124).

"ومن الصفات التي تميز الإسماعيلية عن بقية طوائف الإمامية رأيها بوجوب تستر الإمام واختفائه واتخاذه دعاة يدعون لإمام مستور ولو كان الإمام نفسه هو الذي يدعو لإمام مستور ويعني نفسه، وذلك إذا لم تكن للإمام قوة يظهر بها وخشي الوقوع في أيدي أعدائه" (محمد يحي الحداد، التاريخ العام لليمن، المجلد الثاني، ص168).

ويبدأ التنظيم الدعوي في عهود الأئمة بالدعاة المقيمين بحضرة الإمام الذين يشترط فيهم أن يكونوا ذوي مواصفات متميزة فهم أعلم الدعاة، وهذا التنظيم القيادي أو المركزي كان على قسمين قسم سري لا يسمح بمعرفته لأحد دون الإمام، وهذا القسم كان يشغل مراتبه دعاة مرموقون ومتفوقون يشغلون أعلى المراتب، وفيما يلي أسماء وصلاحيات هؤلاء الأعلام بعد الإمام:

ب- مرتبة الباب (باب الأبواب):

تجدر الإشارة هنا أن عارف تامر يجعل مرتبة الباب والحجة مرتبة واحدة (عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، ص125). ويظهر أن هذا الالتباس والدمج بين المرتبتين مرده أن مرتبة الباب لم يشغلها سوى جعفر بن منصور في اليمن، ولذلك لم يذكرها كثير من الباحثين الذين تحدثوا عن التنظيم الدعوي عند الإسماعيلية، إذ يوردون مرتبة الحجة بعد الإمام.

وسواء كانت مرتبة الباب والحجة واحدة أو كانتا مرتبتين فإن مرتبة الباب مع الحجة أو بدونها هي أعلى المراتب الدعوية بعد رتبة الإمام، وهي سرية لا يعرف صاحبها إلا الإمام، ويشترط في من يشغلها أن يكون قد بلغ حد العصمة، ووظيفته فصل الخطاب.

وقد كانت هذه المرتبة "من المناصب الدينية الهامة في العصر الفاطمي، ووظيفة باب الأبواب لقب شيعي لقب به جعفر بن منصور اليمن الذي تمتع بمركز رفيع في الدولة الفاطمية في المغرب ثم في مصر حتى اتخذه الخليفة المعز (باب أبوابه) أي رئيس الدعاة.. " (حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج4، ص341).

ج- مرتبة الحجة:

يذكر عارف تامر أن "هذه الرتبة تلي رتبة الإمام مباشرة فالحجة هو نائب الإمام عند غيابه والظل الذي لا يفارقه، ولا حجة بدون إمام، مشيرا إلى أن الباب اسم آخر يطلق على الحجة ومعناه أنه باب الأسرار ومستودع الأعمال، وفي العادة أن يضطلع ولي العهد بمهام هذه الرتبة في حياة الإمام إلا في الظروف الاستثنائية وإذا كان صغيرا دون البلوغ فتعطى عندئذ وكالة لأحد الدعاة الكبار أي لداعي الدعاة وتكون مهمته تربية ولي العهد" (عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، ص125).

ومرتبة الحجة سرية أيضا لا يعرف صاحبها إلا الإمام، ووظيفته الحكم فيما كان حقا أو باطلا.

وفي أثناء استتار الإمام الطيب تولت الملكة الحرة سيدة بنت أحمد الصليحي هذه المرتبة ومنحت لقب الحجة (مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، ص22–23).

فيما سبق إشارة إلى القسم غير المعلن أو السري للدعوة باستثناء مرتبة الإمام، أما القسم الظاهر المعلن فهو القسم المتعلق بالمراتب الدعوية للدعاة الذين تكون مراتبهم بعد الباب والحجة وهذا القسم يتناوله الباحث فيما يلي:

د– مرتبة داعي الدعاة:

"هو رئيس الدعاة المباشر والمسئول الأول أمام الحجة عن توزيعهم في الجزر والأقاليم، وعن اختيارهم وخبرتهم وثقافتهم وصلاحهم وسلوكهم، وهو المسئول عن إقامة فروع الدعوة في المناطق والأقاليم وكثيرا ما أخضع الدعاة إلى فحوص دقيقة وإلى مراقبة مستمرة" (عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، ص125).

ومن المؤرخين من يجعل مرتبة داعي الدعاة والداعي المطلق مرتبة واحدة مشيرا إلى أن هذه المرتبة تعد أعلى المراتب الظاهرة، ووظيفته تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية.

وكانت الدعوة الإسماعيلية بعامة تستند إلى داعي الدعاة وكان يلي قاضي القضاة في الرتبة، وفي أوقات كثيرة كانت الوظيفتان تسندان إلى رجل واحد، ويساعد داعي الدعاة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيبا، وله نواب ينوبون عنه في البلاد الإسلامية أو الجزر – حسب تسمية الإسماعيلية لها، ويحضر إليه فقهاء الدولة، ولهم مكان يقال له: دار العلم.

ومن الشروط التي يجب أن تتوفر في داعي الدعاة أن يكون عالما بجميع مذاهب أهل البيت.

أما الوظائف التي كانت منوطة بداعي الدعاة فكان منها:

1 - رياسة الدعوة الإسماعيلية.

2 - أخذ العهد على المريدين (المستجيبين) إما مباشرة أو بواسطة نوابه في مصر وفي غيرها من البلدان التي انتشر فيها المذهب الإسماعيلي.

3 - الإشراف على محاضرات المجالس وتنقيحها وعرضها على الخليفة لإقرارها وتذييلها بإمضائه. (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص121، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج3، ص204).

4 - جمع النجوى من المؤمنين والمؤمنات - يعني الإسماعيلية -، وكانت ثلاثة دراهم وثلثا، وتدوين اسم من يؤدي أكثر من المال المقرر للنجوى (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص121، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج4، ص429).

ولداعي الدعاة اثنا عشر نقيبا يساعدونه في نشر التعاليم الفاطمية، وله نواب ينوبون عنه في البلاد، وبذلك فإنه يعد الصلة بين الخليفة وأتباعه أو دعاته من الإسماعيلية (حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج4، ص428).

والداعي الفاطمي كان موسوعي العلم بحيث لم تكن معلوماته قاصرة على النواحي الإسلامية، أي على علوم الشريعة، بل كانت تتعداها إلى معرفة أصول المذاهب القديمة من يهودية ومسيحية ووثنية. (عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج2، ص184).

ومن المؤكد أن هذه المهام والوظائف التي كانت تسند إلى داعي الدعاة في عاصمة دولة الخلافة كانت تسند إلى الداعي في كل بلد من البلدان أو جزيرة من الجزر التي تنتشر فيها الإسماعيلية.

هـ-مرتبة داعي البلاغ:

"هو المسئول عن تبليغ الأوامر وإيصالها إلى دعاة الأقاليم وحجج الجزائر، وعن سريتها ووصولها، ويعتبر رئيس القلم والمراسلات والأمين العام على أسرار المراسلات والبلاغات، وله الحق بالمفاتحة والمناقشة مع الفرق الأخرى دون أن يحتاج في ذلك إلى إذن من داعي الدعاة" (عارف تامر، المرجع السابق، المكان نفسه).

و-الداعي المطلق أو النقيب:

صاحب صلاحية السفر والتجول في كل مكان لنشر تعاليم الدعوة ومبادئها، ولا يخضع في ذهابه أو إيابه إلى الاستئذان من أحد، وهو يرتبط

بداعي الدعاة مباشرة فيستمد منه العلوم، ويطلق عليه أيضا اسم: " نقيب أو ذو مصة" لأنه يمتص العلم من داعي الدعاة كما يمتصه داعي الدعاة من الحجة، والحجة من الإمام، وفي بعض الأدوار يطلق عليه: "ذو مصتين" وهي رتبة أعلى بحيث يكون له الحق بتجاوز الأعلى منه والاتصال بداعي الدعاة، ويفترض بالداعي المطلق أن يكون متمكنا من علم الهيئة وقراءة الأفكار ومعرفة الخبايا من اللمحات وأمارات الوجه" (عارف تامر، المرجع السابق، المكان نفسه).

ومن الدعاة الذين شغلوا رتبة الداعي المطلق في اليمن الذؤيب بن موسى الوادعي (ت/536هـ) أثناء استتار الإمام الطيب بن الآمر. (النعمان بن محمد، تأويل الدعائم، ص22).

إن هؤلاء الدعاة الذين كانوا منتشرين في كثير من البلاد (الجزر) الإسلامية كانوا يدعون إلى فكرهم ويجادلون أصحاب المذاهب الأخرى، وقد وجدوا أتباعا لهم اقتنعوا بفكرهم وقبلوه وأخذوا عنهم علومهم، ليس في مصر وحدها باعتبارها مركز دولة الخلافة الفاطمية بل وفي البلدان التي انتشرت فيها دعوتهم ومنها اليمن، حيث كانت الدعوة في تلك البلدان تتأسى بما ينفذ في مركز الخلافة وتطبق ما يطبق في مركز الخلافة.

ز-الداعي المأذون:

"رتبته أدنى من رتبة الداعي المطلق فهو غير مأذون بمفاتحة أحد أو مناقشة أية فرقة أو السفر إلى منطقة أو بلد ما إلا بإذن من داعي الدعاة" (عارف تامر، المرجع السابق، ج1، ص126).

ح-الداعي المحصور:

"رتبته أدنى من رتبة الداعي المأذون فهو لا يستطيع أن يفاتح أحدا أو يبلغ أو يتكلم إلا في منطقة يحددها له داعي الدعاة وبلغة أصح فهو "محصور" بمنطقة معينة لا يغادرها" (عارف تامر، المرجع السابق، المكان نفسه).

ط، ك–الجناح الأيمن والجناح الأيسر:

"هذان الحدان ملحقان بصورة دائمة بالداعي المطلق فهما جناحاه أثناء جولاته الدعوية في الأقاليم ويطلقون عليهما أحيانا "اليد" وجمعها "الأيادي" أي أنهما يقدمان الخدمات للداعي المطلق كما تقدم اليد الخدمات للجسم. وللجناحين الأيمن والأيسر مهمة صعبة فإن عليهما أن يذهبا مسبقا إلى البلد الذي يقرر الداعي المطلق الذهاب إليه، فيدرسان أوضاعه السياسية والعلمية والأدبية، وحالة ندواته ومدارسه، وطبقات أهله وعلمائه وشعرائه ونفسياتهم، ونواحي القوة والضعف لديهم، وميولهم ومذاهبهم ومكانتهم الاجتماعية حتى إذا أحاطا بكل ذلك عادا إلى الداعي المطلق فقدما له تقريرهما الشامل، وعلى ضوئه ينتقل الداعي المطلق إلى البلد المقرر فتكون المعلومات أمامه واضحة بحيث يسهل عليه عندئذ مفاتحة كل إنسان بما يتفق وعلمه وميوله واستعداده وقدراته. أما الجناحان فتكون مهمتهما عندئذ قد تحولت إلى بلد ثان ينوي الداعي المطلق زيارته" (عارف تامر، المرجع نفسه، المكان نفسه).

ل–المكاسر:

"تعطى رتبة المكاسر لكل مكالب تفوق وتفقه في مجال العلوم والفلسفة والفقه وذلك بعد أن يجتاز الفحص المقرر ويصبح قادرا على النقاش والسيطرة على السامع بأسلوبه الساحر وبيانه الواضح، وقد تنحصر مهمته بمناقشة رؤساء الأديان المتزمتين والمتعصبين فيكسرهم ويبطل حججهم، ويتلقى المكاسر الأوامر من داعي الدعاة مباشرة" (عارف تامر، المرجع نفسه، المكان نفسه).

م– المكالب:

"رتبته أعلى من رتبة المستجيب وأدنى من رتبة المكاسر، صلاحيته تنحصر بالتجسس وتنسم الأخبار وكل ما يتحدث به الناس عن الدعوة ونقلها إلى المكاسر، وقد يناط به الاتصال بالأفراد والشباب ومباحثتهم أو أخذهم إلى المكاسر لإعطائهم الدروس، ومن الجدير بالذكر أن مهمة المكالب تشبه إلى حد ما مهمة "كلب الصيد" الذي يركض ويتعب ويعرض نفسه للموت في سبيل

جلب الطرائد وتقديمها غنيمة باردة لصاحبه" (عارف تامر، المرجع نفسه، ج1، ص 126–127).

ن– المؤمن:

"أول رتبة تعطى للمنتسب إلى الدعوة بعد تأدية فحص مقرر من داعي الدعاة والدعاة الآخرين" (عارف تامر، المرجع نفسه، ج1، ص127)، وهناك من الإسماعيليين من يرى أن رتبة المستجيب هي أول المراتب التي يوضع فيها المنتسب إلى الدعوة ثم تليها رتبة المؤمن.

تلك كانت" أسماء وألقاب وصلاحيات الأشخاص الذين يقومون بأعباء الدعوة لدى الإسماعيلية، وهذا "الكادر" غير دعاة الجزر وحجج الأقاليم إذ يفترض في كل جزيرة وإقليم أن تكون الدعوة مطابقة للأصل، ولكن لابد من القول إنه قد تأتي ظروف استثنائية لا يتمكن الإمام من إقامة الدعوة بكامل أعضائها وعناصرها، وعندئذ تظهر الوكالات والنيابات بحيث تبقى حتى زوال الأسباب" (عارف تامر، المرجع نفسه، المكان نفسه).

3–الطريقة التنظيمية للدعوة والدعاة على مستوى البلدان (الجزر):

أما ما يتعلق بالطريقة التنظيمية للدعوة والدعاة على مستوى البلدان (الجزر) في ذلك الوقت فإن الاسماعيليين في تنظيمهم لدعوتهم فقد قسموا العالم آنذاك إلى جزر وليس أقاليم أو بلدان، فجعلوا العالم اثنتي عشرة جزيرة بعدد شهور السنة لكل جزيرة دعاة حدد الإمام مهام كل داع منهم وفق الترتيب الآتي:

أ–داعي دعاة الجزيرة:

وهو نائب الإمام في الجزيرة.

ب–النقباء:

وهم ثلاثون نقيبا لكل داعي جزيرة، هم وزراؤه ومستشاروه في كل ماله علاقة بأمور جزيرته.

ج- المعاونون:

وهم أربعة وعشرون معاونا لكل نقيب وهم كلهم دعاة، كانوا يسمون بالمكاسرين أو المكالبين، ولكل نقيب أربعة وعشرون مكاسرا، اثنا عشر مكاسرا بالنهار واثنا عشر مكاسرا بالليل، يحملون أعباء الدعوة ومسؤوليتها وأعباء التعليم والتربية للمدعوين، وأعباء الدفاع عن فكر الدعوة ومعتقداتها بالنقاش والحوار أو بالمناظرة والمجادلة مع خصوم الدعوة.

وعليه فقد كان لكل جزيرة من جزر الدعوة المنتشرة في مناطق العالم التي استطاع الإسماعيلية أن ينشروا دعوتهم فيها سبعمائة وعشرون داعيا يضاف إليهم داعي الدعاة الذي هو ممثل الإمام في كل جزيرة، فيكون إجمالي العدد المسئول عن الدعوة والتربية في الجزيرة سبعمائة وواحد وعشرون عضوا، يتم انتقاؤهم بعناية فائقة ويتم إعدادهم إعدادا متميزا يتناسب مع المهام التي يكلفون بالقيام بها وهي نشر الدعوة واستقطاب المدعوين، وتربيتهم وتعليمهم، والحفاظ على الدعوة والدفاع عنها بسلاح الفكر والتأويل والفلسفة والمنطق وبالقتال عندما يتطلب الأمر ذلك.

جدير بالذكر أن الدعوة الإسماعيلية بهذا التنظيم الدقيق الذي وضعته لدعوتها والرتب المتضمنة للوظائف والمهام التي رسمتها لدعاتها وهو نظام وترتيب مرن غير جامد، يقبل التعديل كلما تغيرت الظروف، ولربما تكون الدعوة أو مهندسوها البارعون قد صمموا نظامين نظام يعمل به عند وجود نظام حاكم يدعمها ويؤيدها، ونظام يعمل به عندما تعود الدعوة إلى مرحلة الستر من جديد عندما تفرض عليها الظروف ذلك، كل ذلك يؤكد دقة وقوة وخطورة التنظيم الدعوي المتقن الذي يعد السبب الرئيس في النجاح الذي حققته الدعوة سواء في المغرب أو مصر أو اليمن أو الهند أو أي بلد تمكنت من أن يكون لها فيه وجود.

والدليل على الدقة والنظام والمرونة في هذه الدعوة هو أنها عندما انتقلت إلى دور الستر بدأت تعمل وفق نظام يتناسب مع ظروف المرحلة، فقد برزت أمامها

مهام جديدة أبرزها: الحفاظ على سرية الدعوة، والحفاظ على الدعوة ذاتها من الأخطار الداخلية المتمثلة في الانقسام والتطرف، والحفاظ على الدعوة من الأخطار الخارجية.

إن هذا التغيير في المهام الذي حصل في مرحلة الستر الذي انتقلت إليه الدعوة بعد انحسار وزوال الدولة الصليحية – مع علم الباحث أن هذه المرحلة وفترة حكم الدولة الصليحية ليستا من أهداف هذه الدراسة لكنه أوردها لغرض التوضيح – تطلب تغييرا في الأساليب انعكس بدوره على البناء الفلسفي، ونتيجة لذلك كرس الدعاة اليمنيون من الاسماعيليين جل وقتهم للتأليف وقسموا تلك الكتب إلى قسمين ظاهري وباطني جعلوا القسم الظاهري لمحاربة التطرف ويعنون به غلو البعض في الأئمة، أو التقصير في أداء العبادات خصوصا ما نتج من سوء فهم الأتباع للدعوة وفلسفتها ونفذوا برامج مكثفة في تربية الدعاة وتثقيفهم، ولم يجيزوا نشر مؤلفات الدعاة إلا بعد موافقة الداعي المطلق منعا لتسرب أي أفكار تضر بالدعوة (الموسوعة اليمنية، ج1، ص321).

أما في جانب البناء الهرمي للدعوة فإنه بانتقال الدعوة إلى مرحلة الستر فإن قيادة الدعوة قد تركزت في يد الداعي المطلق وهي رتبة مستحدثة في اليمن خصوصا فيما يتعلق بدورها ومكانتها، وهي رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية، وأصبح الداعي المطلق هو المسئول الأول عن كل ما يتعلق بشئون الدعوة وهو المصدر الذي تستقى منه العلوم، وباعتبار أن الإمام قد استتر فإن الداعي المطلق قد أصبح ممثله والقائم مقامه والدليل على وجوده. (الموسوعة اليمنية، ج1، ص321).

وهذا المنصب يماثل منصب الولي الفقيه في المذهب الجعفري الذي هو وكيل للإمام الغائب الثاني عشر، والإسماعيلية اخترعوا هذا المقام أو المنصب وطبقوه قبل الإثنا عشرية بوقت طويل.

ويؤكد الباحث مرة أخرى أن هذا الكلام وإن لم يكن ضمن أهداف الدراسة ولا ضمن الفترة الزمنية المدروسة إلا أن القصد من إيراده هنا التأكيد على أن الدعاة الإسماعيليون لديهم الترتيب والنظام المعد مسبقا الذي يمكنهم من إحداث التغييرات التي يرونها مناسبة سواء كانت متعلقة بالدعوة ذاتها أم متعلقة بالدعاة ومراتبهم ومهامهم أو في استحداث مراتب تتناسب مع الظروف التي تمر بها الدعوة، أو تغيير في أساليب الدعاة في الدعوة.

والدليل على التغيير في الوظائف والمراتب هو استحداث الرتب الآتية:

- رتبة الداعي المطلق بدلا من داعي الدعاة: وهي رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية.
- رتبة الداعي المحصور: وهي رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرية.
- رتبة المأذون المطلق: وهي رتبة أخذ العهد والميثاق.
- رتبة المأذون المحصور: وهي رتبة جذب الأنفس المستجيبة.
- رتبة المستجيب أو المؤمن: وهو الذي لم يتدرج بعد في مراتب الدعوة. (الموسوعة اليمنية، ج1، ص321).

ويرى الباحث أن رتبة المستجيب رتبة مستقلة ورتبة المؤمن رتبة أخرى، واتضح له أن بعض الباحثين المحدثين يدمجون المرتبتين في مرتبة واحدة، كما يفعلون مع مراتب أخرى غير هاتين المرتبتين.

كما يرى الباحث أن عددا من الرتب التي أشارت الموسوعة اليمنية إلى أنها استحدثت ليس صحيحا ومن تلك الرتب رتبة المؤمن ومثلها رتبة المستجيب التي هي الرتبة الأولى من رتب الدعوة في الظروف الطبيعية أو الاستثنائية.

وبالنظر في رتب الدعوة عند الإسماعيلية فإننا سنجد أنها من "الناحية العملية قد طرأ عليها التغيير، فباستثناء الداعي المطلق ومساعده فإن بقية الرتب لم تعد موجودة، بل أصبح بعض ذوي الجاه والنفوذ (المشايخ) يتولون إدارة شئون الدعوة خصوصا في المناطق البعيدة عن المركز بسبب الصراع السياسي في اليمن وانحسار

الدعوة بعد فقدانها لدعم الدولة وحاجتها إلى من يستطيع حمايتها وحماية أنصارها في تلك المناطق، إضافة إلى سوء تعريف الحدود" (الموسوعة اليمنية، ج1، ص322).

ثانياً– الطريقة التنظيمية والتربوية المتعلقة باختيار الدعاة وتحديد وظائفهم:

1– الأهمية الدعوية والتربوية لعمل الدعاة:

لعل أول ما يلفت النظر في تنظيم هذا العمل، وتنظيم هذه العلاقة بين الدعاة والمستجيبين هو الدقة في تحديد أو اختيار المصطلحات وأولها هو مصطلح: (جذب) الذي يطلق على العمل أو الوظيفة التي يقوم بها المكاسر أو المهمة التي يقوم بها الداعي المكلف بالاستقطاب، فهذا التحديد الدقيق في اختيار هذا المصطلح لمن يقوم بهذه الوظيفة يعطي مؤشرا على أن لكل مصطلح من المصطلحات التي يستخدمها الإسماعيليون مدلول واضح ومحدد ومختار بعناية فائقة، وأن هذه المصطلحات الخاصة بهم لم تأت من قبيل المخالفة لغيرهم فقط، والأمر نفسه ينطبق على مصطلح المكاسر أو المكالب الذي يطلق على الداعي المكلف بالجذب أو الاستقطاب، وهو مصطلح فيه دلالة لفظية على المهمة الصعبة التي يقوم بها هذا الداعي، أو الدعاة المكاسرين الذين تسند إليهم هذه المهمة، ويطلق عليهم كذلك مصطلح المكالبين ولهذا الوصف دلالته اللفظية كذلك.

وقد أشار الحمادي إلى أنهم سموا بالمكلبين "تشبيها لهم بكلاب الصيد لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويلبسون على كل جاهل بكلمة حق يراد بها باطل، يحضونهم على شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شراكه" (الحمادي، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، ص64).

ولا شك أن المهمة المناطة بالمكاسر أو المكالب ليست سهلة ميسرة يستطيع القيام بها أي فرد، بل هي في غاية الصعوبة والخطورة، باعتبار أن المكاسر هو وحده من بين كل الدعاة الذي يمارس دوره ويؤدي عمله في العلن، لا بمعنى أن غير الاسماعيليين يعرفون بأنه داع إسماعيلي هذا لا يحصل مطلقا؛ إنما بمزاولة مهنته في مجالس السنَّة حيث يقوم بحضور المجالس العلمية والمناظرات

والمساجلات ويطرح الأسئلة والمداخلات انطلاقا أداءً وتنفيذا للمهمة المكلف بها واعتمادا على الفلسفة التي يكون متمكنا جدا منها ووفق المنطق الذي يميز الدعوة التي يمثلها وهو بهذا العمل أشبه ما يكون بالصياد الذي يلقي الحب على الأرض للطير بهدف اصطياد طير واحد من بين كل الطيور التي تلتقط الحب، وهذا بالفعل ما يفعله المكاسر في المجالس والحلقات والمناظرات العامة.

وهذا العمل والجهد العلمي والعملي الكبير الذي يبذله المكاسرون المكالبون ليلا ونهارا هو الجهد الذي يبنى عليه ما يأتي بعده وهو أشبه ما يكون بالتربية والتعليم التي يقوم بها المعلمون من أصحاب المذاهب الإسلامية السنية في المرحلة التعليمية الأولى، مع الفارق الكبير في الجهد المبذول وفي المعلمين والمتعلمين ومقررات التعليم وطرائق وأساليب التعليم.

وأما ما يقوم به الدعاة الأعلى مرتبة من المكاسرين من دعوة وتربية وتعليم فيمكن القول إنها أشبه ما تكون بالتعليم الذي يقوم به العلماء من أصحاب المذاهب السنية في المرحلة العليا من التعليم مع الفارق في العلماء، وفي مقررات التعليم، وفي طرائق وأساليب التعليم، وفي المتعلمين.

إن مهمة الدعاة المكلفين باستقطاب الأفراد إلى الدعوة أو حسب تعبير الإسماعيلية جذب الأنفس المستجيبة ليست مهمة سهلة، ولما كان الأمر كذلك كان لا بد أن تقوم على تنظيم دقيق مرتب له مسبقا.

ويشير الحمادي إلى أن المكالب المنوط به مهمة الجذب أو الاستقطاب لا يتعجل في الحكم على صلاحية هذا الفرد الذي يقوم باستقطابه، ولا يعطونه صفة المستجيب إلا بعد أن "يقيم سنة يمعنون فيه وينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعونه بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم محرفة، وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعملونه، والانقياد لما يأمرونه، قالوا حينئذ: اكشف عن السرائر، ولا ترضى لنفسك ولا تقنع بما قد قنع به العوام من

الظواهر... " (الحمادي، كشف أسرار الباطنية، مرجع سابق، ص64).

مما أشار إليه الحمادي من عدم استعجال المكالب وهو الداعي المنوط به عملية الاستقطاب والفحص الدقيق للمدعو أو الراغب في الانتماء للدعوة يشير هذا الكلام إلى أن عملية الانتماء أو القبول في الدعوة كانت تستغرق وقتا طويلا والهدف هو التأكد من صدق هذا العضو أو الراغب في العضوية بالتحري والسؤال والاختبار والفحص القولي والسلوكي حتى يتأكد لهم أنه سيكون عضوا نافعا وإيجابيا ليطلعوه بعد ذلك على الموضوعات الفكرية التي يؤمنون بها بعد أن يكونوا على ثقة مطلقة بعدم إفشائه لأسرار الدعوة تحت أي ظرف من الظروف، ولذلك لا تكتفي الدعوة بالتحري والسؤال والاختبارات السلوكية بل يأخذون عليه العهود والمواثيق.

يتضح من التحديد الصارم والدقيق والمنظم لعمل هؤلاء المكاسرين أو المكالبين في نوبات نهارية وليلية حجم العمل والجهد الذي يبذلونه، فهم يقومون باستقطاب الأنفس أو جذبها إلى الدعوة بطريقة ترتيب يتم مسبقا بينهم وبين الداعي الذي هو أعلى منهم مرتبة، حيث يحضر هذا الداعي مجلسا من مجالس العلم لغير مذهبهم ودعوتهم، ثم يقوم هذا المكاسر بمجادلة الداعي الذي لا يعلم عنه أحد ممن يحضر مجلس العلم أنه داع، ولا يعلم أحد أن هؤلاء إسماعيلية ويقومون بهذا العمل بطريقة تم الترتيب والتنسيق لها من قبل، فيقوم المكاسر بمجادلة الداعي أمام الجمهور الذي يحضر مجلس العلم أو مناظرة علمية أو ما شابه ذلك، وفي مجادلته تلك يوحي للسامعين أنه واحد منهم وأنه يريد أن يستفيد ويفهم، وهذا الجدل والحوار يهدفون منه التوضيح للحاضرين ولفت نظرهم وإيصال المعلومة التي يريدون إيصالها إليهم من خلال الشيخ أو العالم وبطلب من الجمهور الحاضر.

2- الكفايات والشروط اللازم توفرها في الدعاة:

أ- الكفايات والشروط الشخصية والعلمية:

إذا عرفنا خطورة المهمة التي يقوم بها المكاسر والمكالب عرفنا أن المكاسر أو المكالب وهما رتبتان متتابعتان لا يشغلهما شخص عادي، بل لا بد أن يكون على درجة كبيرة من العلم والثقافة، وأن من تسند إليه هذه المهمة ويتولى هذه الوظيفة لا بد من أن تتوفر فيه شروط ومواصفات شخصية محددة منها:

1 -أن يكون من أبناء المنطقة.

2 -أن يكون ذا حسب ونسب.

3 -أن يكون متبحرا في العلوم الإسلامية خاصة ما يتعلق بالمذاهب والفرق، وعلوم اللغة، وفنون الجدل، ومعرفة مواطن الضعف في كل الفرق والمذاهب الإسلامية.

4 -أن لا يعرف عنه أحد أنه إسماعيلي (مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، ص21) بتصرف.

مع ملاحظة أن هؤلاء المعاونين الذين يطلق عليهم المكاسرين هم وحدهم الذين يمارسون عملهم في العلن دون غيرهم من الدعاة الأعلى منهم مرتبة الذين لا يمارسون مهامهم في الظاهر أو أمام الرأي العام. (مصطفى غالب، أعلام الإسماعيلية، ص19–20، النعمان بن محمد، تأويل الدعائم، ص220).

ب- الكفايات والشروط الخُلُقية:

إن مهمة الدعاة المعنيين بجذب أو استقطاب الأتباع أو المستجيبين ليست مهمة يسيرة، ولذلك كان لا بد أن يكون هؤلاء الدعاة ذوي صفات وكفايات وقدرات ومؤهلات خاصة تتناسب مع المهام التي يقومون بها، ولخطورة هذه المهام المناطة بهم فإن "كتب الدعوة قد رسمت الخطة الأساسية التي يجب على الداعي سلوكها لتلقين مبادئ الدعوة للمقبلين عليها في خطى متئدة حتى لا تضيع البذور في أرض سبخة، وحتى لا ينحرف عن السبيل أو ينعكس عليه القصد فيصاب التنظيم بالخيبة والخذلان. وقد أوضح الإمام المعز لدين الله ذلك بقوله: "ينبغي

للداعي اختيار أمر من يدعوهم من الراغبين وتعرف أحوالهم واحدا واحدا، وتميز كلاً منهم، ومعرفة ما يصلح له أن يؤتى إليه، ويحمله عليه، ومقدار ما يحمله من ذلك، ومدى قوته وطاقته، ومتى يوصل ذلك إليه، وكيف يغذونه به، وامتحان الرجال، وتعرف الأحوال، ومقدار القوى، ومبلغ الطاقات والقدرات" (عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، ص127).

لقد رسم للدعاة خطة تنظيم العلاقة بين الدعاة والمستجيبين والمنقلبين، والطريقة الذي يجب عليهم سلوكها بمدعويهم فأوجب عليهم أن يتصفوا بالصفات الخلقية الآتية:

1 -الظهور بمظهر الوقار والهيبة ليكون ذلك مدعاة إلى تفاني المدعوين في الالتفاف حولهم.
2 -أن يكون حسن الصوت.
3 -خفيض الجناح.
4 -لين الجانب.
5 -حسن العشرة.
6 -جميل المخالقة من غير تجبر ولا تكبر، بل يكون التواضع سيماه والوقار همته. (عارف تامر، المرجع السابق، المكان نفسه).

تلك التعليمات والبرامج والخطط والشروط والصفات تؤكد أنه "كان للإسماعيلية في البلاد التي يدعون فيها لدعوتهم تشريع ونظام خاص في معاملتهم أهالي تلك البلاد، كما كانت لهم ثقافة وفلسفة مقررة ومدروسة وذات منهجين: المنهج العلني، والمنهج السري، فالمنهج العلني يقوم به الوزراء والحكام بالنسبة إلى عامة الشعب، أما المنهج السري فيقوم به الإمام ودعاته وحججه " (عارف تامر، المرجع السابق، المكان نفسه).

ج- التطبيق العملي للكفايات والشروط من قبل الدعاة:

إن على الدعاة أن يؤكدوا على أنهم متمثلين لتلك الصفات الشخصية والعلمية والخلقية التي كانت من الشروط اللازمة في الدعاة، هذا التمثل يظهر في العمل الميداني الذي يؤكد تمثلهم لها والتزامهم بها وسيرهم بمقتضاها، وكان هذا التمثل يتضح من خلال الالتزام بالآتي:

1 -أن يبدؤوا بإصلاح أنفسهم، فهم أحق الناس بالورع والصلاح والتقوى والعفاف.

2 -العمل بكل صالحة واجتناب كل مكروه.

3 -أن يكون الداعي مهيبا في غير تكبر ولا صلف.

4 -أن يكون متواضعا لا لمهانة ولا لضعف.

فإن اجتمع له أمره واستحكم، واتصل له مراده وانتظم، وعده في أهل دعوته وعظم؛ فليحسن إلى محسنهم ويقربهم على درجاتهم، وينزلهم على طبقات أعمالهم، ولا يهمل أمرهم، وليدع عقوبتهم على ما يتضح له من ذنوبهم ويصح له من إساءتهم. (عارف تامر، المرجع السابق، المكان نفسه).

ثالثاً-الطريقة التنظيمية والتربوية المتعلقة باختيار المدعوين:

هناك عدد من الطرائق التنظيمية والأساليب التربوية التي يتبعها الدعاة في عملهم المحدد باستقطاب أو جذب المدعوين واستمالتهم إلى الدخول والانتماء إلى الدعوة بعد دراسة أحوالهم والتأكد من توفر الشروط والمواصفات التي تؤهلهم لذلك، وسيتناول الباحث الطرائق التنظيمية والأساليب التربوية التي يسير عليها الدعاة ويطبقونها في هذا الجانب على النحو الآتي:

1. **تنظيم عمل الداعي مع المدعو:**

فيما يتعلق بتفاصيل ما يدور من حوار بين الداعي والمدعو فإن هذه التفاصيل جاءت في كتاب: (العالم والغلام) لجعفر بن منصور اليمن، وهو عند الإسماعيلية أكبر فلاسفة أهل الحق كما وصفه مصطفى غالب في تقديمه وتحقيقه لهذا الكتاب الذي حققه ضمن تحقيقه لأربعة كتب ضمها في

كتاب واحد بعنوان: أربعة كتب حقانية، رمز فيها بالغلام إلى أحد أبناء الملوك الذي استفاد العلوم الحقانية من قبل أستاذه ومفيده الذي التقاه صدفة بينما كان يتجول في بعض الأصقاع، وبعد أن درس عليه فترة من الوقت استطاع أن يقنعه بأفكاره العرفانية ويحوله إلى عنصر صالح مفيد لمجتمعه ومملكته. (مصطفى غالب، ص6 من المقدمة لكتاب العالم والغلام لجعفر بن منصور اليمن في كتاب أربعة كتب حقانية).

ويذكر مصطفى غالب في تعريفه لهذا الكتاب بأنه من الكتب النادرة الوجود الكثيرة الفائدة التي تصور بشكل واضح وصريح المفيد والمستفيد تصويرا رائعا يجسد كما يقول المنطلقات العقائدية الحقانية بقالب رمزي قصصي (جعفر بن منصور اليمن، العالم والغلام، ص 5).

هذا الحوار بين العالم والغلام وهو محتوى الكتاب كله يبين بجلاء الطريقة المتضمنة الخطوات التي كان يتم بها جذب الأنفس بتعبير الإسماعيلية، أو الاستقطاب بتعبير الأحزاب المعاصرة، وفي الحوار ما يدل على التدرج مع المدعو حتى الوصول به إلى الاقتناع والامتثال والقبول، ولأنه حوار طويل يصعب على الباحث إيراده كله فسيكتفي بإيراد بعض فقرات منه يرى أنها تخدم الفكرة التي يريد إيصالها إلى القارئ مع التوضيح أن الباحث اجتهد في وضع عناوين لهذه الخطوات ليست موجودة في محتوى الكتاب.

أ- تنظيم عملية الاستقطاب أو جذب الأنفس:

لم تكن عملية الاستقطاب تسير وفق خطوات ارتجالية تخضع لظروف وقدرات الداعي وتقديراته الشخصية حول المدعو، بل كانت هذه العملية على درجة عالية من التنظيم والترتيب والتخطيط الدقيق بحيث يسير الداعي وفقها وعلى خطاها دون زيادة ولا نقصان، وفيما يلي شرح موجز عن تلك الخطوات التي كانت تتبع في عملية الاستقطاب:

أولاً– إلزام المدعو بالشروط الخمسة التي يطرحها عليه العالم:

فبعد أن ينبهر الغلام بعلم العالم وتمكنه من خلال ما سمعه منه يظهر رغبته في الدخول في دعوته، فإن العالم يقبل منه ذلك لكنه يضع شروطا خمسة على المدعو إن رغب حقا في الدخول في الدعوة حيث يقول له: شروطي عليك خمسة:

1 -ألا تضيع علي إن ائتمنتك.

2 -ولا تكتمني إذا سألتك.

3 -ولا تطلبني حتى أجيك.

4 -ولا تسألني شيئا حتى أبتديك.

5 -ولا تذكر أمري لأبيك. (جعفر بن منصور اليمن، المرجع السابق، ص22).

يوافق الغلام على الشروط الخمسة ويظهر أنها شروط عامة تشترط على كل من يرغب في الانتماء للدعوة.

في الشرط الأول يطلب من الغلام (المدعو) عدم النكوص أو التراجع عن هذا الأمر مهما حصل. فلا يسمح للعضو المنتمي بأن يختار بين البقاء أو الخروج فلا مجال للاختيار.

في الشرط الثاني يطلب منه الإخلاص والوضوح وعدم إخفاء أي أمر من الأمور سواء كان حقيرا أو خطيرا.

في الشرط الثالث يطلب منه ألا يبحث عن الداعي إن كان غائبا، بل عليه أن ينتظر حتى يأتي إليه بنفسه حفاظا فيما يظهر على سرية الدعوة.

في الشرط الرابع يطلب منه ألا يبادر بسؤال الداعي عن كل ما يريد أن يسأل عنه، بل عليه أن يسكت وألا يسأل مطلقا حتى يطرح عليه العالم (الداعي) ما يريد هو من أفكار.

في الشرط الخامس أن يلتزم بالسرية التامة فلا يخبر أحدا عن العالم (الداعي) ويخفي أمر الداعي عن كل الناس حتى عن والده، ويظهر أن قضية

انتمائه مطلوب فيه السرية التامة كذلك.

وعندما ينظر الغلام (المدعو) في هذه الشروط الخمسة يرى إمكانية تنفيذها ما عدا الشرط الخامس فيرى صعوبة في تنفيذه لمكانة الأب عند ولده، ولعدم إمكانية تحقق عدم اطلاع الأب على انتماء الولد لا سيما في حال كان الأب عنده شيء من العلم، وفي حال كانت الممارسات والأعمال والمعتقدات التي يعتقدها الولد فيها مخالفة واضحة لما عليه الأب.

ومن أجل ذلك يقول الغلام مخاطبا العالم: "فإني أفعل جميع ما ذكرت وهو سهل على العظيم أرجوهن قبلك، فكيف الحيلة بأبي فإنه من أعظم المحن علي وأبلاها أفتأذن بالنقلة عنه؟

قال العالم: إن النقلة عنه دليل إلى غيره ولكن أقم عنده وبره وأرضه ببعض الموافقة له، واحفظ سرك واستر أمرك فإن الله سيكفينا شره وشر غيره" (جعفر بن منصور اليمن، المرجع السابق، ص22).

ويظهر أن الذي يحصل هو أن يلتزم الغلام أو المدعو أيا كان عمره بالشروط الخمسة بما فيها الشرط الخامس حيث يفي ويلتزم بأمر العالم (الداعي) في البقاء مع الأب مع التزام الكتمان الشديد والسرية التامة.

وبمقارنة الباحث بين هذه الشروط بل بين جملة ما دار في الحوار بين العالم والغلام وبين الطريقة التي اتبعها الزواحي في استقطابه لعلي الصليحي والتي تحدثت عنها الكتب التي أرخت لتلك الفترة إسماعيلية وغير إسماعيلية يتبين التطابق التام بين عمليتي الاستقطاب، حتى فيما يتعلق باختيار مكانة المدعو وشرف أهله، وهي الطريقة ذاتها التي تتبع مع المدعوين–لا سيما من يتوسمون فيهم القيادة – إذ يحرص الدعاة المكلفون بعملية الاستقطاب على تنفيذها بدقة.

ثانياً– الشروط التي يجب أن تتوفر في المدعو:

وفيما يتعلق بالشروط التي لا بد منها أو لا بد من توافرها في المدعو فقد ذكرها أحد الذين كتبوا في آداب الدعوة الإسماعيلية، الذي استهل كلامه قبل

أن يذكر الشروط بقوله: "هذه رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ولمن أراد الدخول في الدعوة الإسماعيلية والحضور إلى الجنة على الولدان والحور تحت أكناف الستور إنه رحيم غفور" (شمس الدين أحمد بن يعقوب الطيبي، الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، الرسالة الثالثة ضمن كتاب بعنوان: أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، ص51).

1- الشروط التي لا بد منها لصاحب الأهلية والاستحقاق على النحو الآتي:

أ - ينبغي أن يكون المدعو بالغا عاقلا رشيدا قد كبر وبلغ في السن (على عكس ما ذكره ابن منصور اليمن الذي أشار إلى أن المدعو يكون في سن معينة حيث سماه غلاما).

ب - أن لا يكون صاحب عاهة ظاهرة في جسده، أو بشع الصورة، ولا رديء الخلقة بحيث لا يتجاوز الحد في القبح.

ج - أن لا يكون فيه شيء من العلامات الرديئة التي تدل على الخبث والمكر والفساد.. هذا من جهة الصورة.

2- الشروط الخلقية:

أ - يجب أن يكون حسن الأخلاق متبرقعا بالحياء.

ب - غير مجادل ولا مستهزئ، ولا هتاك ولا مرتاب، ولا وقح، ولا مستخف.

ج - أن يكون متمسكا بأوامر الدين والشريعة، معظما للنواميس الإلهية، معاديا لمن يتظاهر بمخالفة الأوامر والنواهي، مصاحبا لأهل الصلاح والدين، مجانبا لأهل الجهل والفساد (شمس الدين الطيبي، المرجع السابق، الصفحة نفسها بتصرف).

3- الشروط السلوكية العملية:

أ - "فإن ظهر من بعد ما ذكرنا صدق الطلب، والرغبة في تحصيل المعرفة، والإخلاص في الإدارة والالتزام أخذ عليه العهد من بعد أن يؤكد في تجريبه وامتحانه، ويتكشف عن دينه ومذهبه وعقيدته التي تربى فيها ونشأ عليها، ويفحص عن أقواله وأفعاله وأحواله جميعها الظاهرة منها والباطنة"

(شمس الدين الطيبي، المرجع نفسه، نفس الصفحة) وهذه الشروط هي التي أطلق عليها الباحث الصفات السلوكية، وهذه الصفات متعلقة بمعرفة حقيقة صدق المدعو الراغب في الانتماء إلى الدعوة.

ب - "ثم إذا عرف منه السداد والرشاد فيما ذكرنا يجرب بترك المعاصي وعدم مواصلة من عادى أهل بيت النبوة الكرام وخالفهم وقدم غيرهم عليهم، ثم يمتحن بترك المطلوبات الجسمانية والمجاهدة بالنفس والمال في سبيل العقيدة وأداء أحكامها" (شمس الدين الطيبي، المرجع السابق، نفس الصفحة) وهذه هي استكمال للصفات السلوكية المتعلقة بمعرفة حقيقة صدق المدعو الراغب في الانتماء للدعوة.

ج - "فإن ظهر في جميع ما ذكرناه محقا في الطلب، مجدا في الرغبة، مطيعا، مستسلما، يؤمر في الاغتسال والتطيب، فإذا اغتسل وتطيب وصفى خاطره وظاهره وباطنه من كل شبهة وريب وشك وزيغ وهم وغم حتى يصير كأنه لوح ساذج يتقبل الصورة اليقينية والنفوس الإلهية ؛عندئذ يستسلم لجماعة المؤمنين واستسلام من يريد أن يخرج من الظلمات إلى النور، ويعلم بحق ويقين أنه داخل إلى مذهب الحكماء الإلهيين، وسلوك طريق العلماء الربانيين أصحاب بيت النبوة، وشجرة الحكمة، وملكة الإمامة، وملة الرسول الأعظم، والأئمة الطاهرين، صلى الله عليهم أجمعين" (شمس الدين الطيبي، المرجع السابق، ص51–52).

2– تنظيم طريقة أخذ العهد من المدعو:

يقول العالم: "إن للدين مفتاحا يحلله ويحرمه هو عهد الله المؤكد لحقوقه الجامع لفرائضه الجنة لأوليائه، حبل الله في أرضه وأمان بين عباده، أذكره لك وآخذه عليك" (جعفر بن منصور اليمن، مرجع سابق، ص23).

وفيما يتعلق بأخذ العهد على المدعو فهو عندهم من الأهمية بمكان بحيث نجد الإمام السادس عشر الحاكم بأمر الله يحدد لداعي الدعاة –خاصة– مهمته

بقوله: "وخذ العهد على كل مستجيب راغب، وشد العقد على كل منقاد ظاهر... ممن يظهر لك إخلاصه ويقينه، ويصح عندك عفافه ودينه، وحضهم على الوفاء بما تعاهدهم عليه.. " (عاف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، ص128).

أ- صيغة العهد الذي يؤخذ على المدعو:

لما كانت صيغة العهد طويلة فإن الباحث جعله في بنود واجتهد في وضع عناوين لكل بند منها حسب مضمونها، عناوين هذه البنود هي من اجتهاد الباحث؛ أما العهد كما ورد في المصدر فقد جاء متواصلا في صيغة واحدة، أدخل الباحث هذه العناوين حتى يتمكن من نقل العهد نقلا حرفيا مع توثيق المصدر والجزء والصفحة.

1 -أن يتعهد بكتمان كل ما له علاقة بداعي الدعاة في بلده والإمام:

"وهو أن الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه: جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله، وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق أنك تستر جميع ما تسمعه وسمعته، وعلمته وتعلمه، وعرفته وتعرفه من أمري وأمر المقيم بهذا البلد (المقصود به داعي الدعاة في البلد الذي يعد في مقام النائب أو الوكيل للإمام) لصاحب الحق الإمام الذي عرفت إقراري له ونصحي لمن عقد ذمته وأمور إخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له من الذكور والإناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيئا قليلا ولا كثيرا، ولا شيئا يدل عليه إلا ما أطلقت لك أن تتكلم به، أو أطلقه لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد، فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه". (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص134–135).

2 -أن يتعهد بأداء التكاليف التي افترضها الله تعالى على عباده:

"وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله، وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث

من في القبور، وتقيم الصلاة لوقتها، وتؤتي الزكاة لحقها، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام، وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله، وتوالي أولياء الله وتعادي أعداء الله، وتقوم بفرائض الله وسننه، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ظاهرا وباطنا وعلانية سرا وجهرا" المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص135).

3 -تأكيد الداعي للمدعو على الوفاء والالتزام بما تعهد به:

يقول الداعي موجها كلامه للمستجيب أنه في حال التزم بما تعهد به قولا وفعلا سرا وجهرا: " فإن ذلك يؤكد هذا العهد ولا يهدمه، ويثبته ولا يزيله، ويقربه ولا يباعده، ويشده ولا يضعفه، ويوجب ذلك ولا يبطله، ويوضحه ولا يعميه، كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين على الشرائط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك. قل نعم. فيقول المدعو (المستجيب): نعم. " (المقريزي، المصدر السابق، المكان نفسه).

4 -كتمان ما أخذ على المدعو في العهد نفسه:

"ثم يقول الداعي له: والصيانة له بذلك وأداء الأمانة على ألا تظهر شيئا أخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا، لا في غضب، ولا على حال رضا، ولا على رغبة، ولا في حال رهبة، ولا عند شدة، ولا في حال رخاء، ولا على طمع، ولا على حرمان. تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد" (المقريزي، المصدر السابق، المكان نفسه).

5 -التعهد بنصرة الداعي والوقوف إلى جانبه والنصح له وللإمام:

"وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن تمنعني وجميع من أسميه لك وأثبته عندك مما تمنع منه نفسك، وتنصح لنا ولوليك ولي الله نصحا ظاهرا وباطنا، فلا تخن الله ووليه ولا أحداً من إخواننا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا بسبب في أهل ولا مال، ولا رأي ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما يبطله" (المقريزي، المصدر السابق، نفس المكان).

6 -يوضح له عاقبة الخيانة للعهد:

"فإن فعلت شيئا من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته، وأنت على ذكر منه فأنت بريء من الله خالق السماوات والأرض الذي سوى خلقك وألف تركيبك، وأحسن إليك في دينك ودنياك وآخرتك، وتبرأ من رسله الأولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبيين والروحانيين، والكلمات التامات والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتبرأ من التوراة والإنجيل والزبور والذكر الحكيم، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة، ومن كل عبد رضي الله عنه، وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه، وخذلك الله خذلانا بينا يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير إلى نار جهنم التي ليس لله فيها رحمة، وأنت بريء من حول الله وقوته ملجأ إلى حول نفسك وقوتك، وعليك لعنة الله التي لعن الله بها إبليس وحرم عليه بها الجنة وخلده في النار إن خالفت شيئا من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبانا" (المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص135–136).

7 -المكفرات التي على المدعو أن يؤديها تكفيرا لما قام به من مخالفة إن خالف:

"ولله عليك أن تحج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجا واجبا ماشيا حافيا لا يقبل الله منك إلا الوفاء بذلك، وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة، وكل مملوك لك من ذكر أو أنثى في ملكك أو تستفيده إلى وقت وفاتك إن خالفت شيئا من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل، وكل امرأة لك أو تتزوجها إلى وقت وفاتك إن خالفت شيئا من ذلك فهن طوالق ثلاثا بتة طلاق الحرج لا مثوبة لك ولا خيار، ولا رجعة ولا مشيئة، وكل ما كان من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام " (المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص136).

8 -تأكيد الداعي للمدعو أهمية العهد وأهمية الوفاء به:

"وكل ظهار فهو لازم لك، وأنا المستحلف لك لإمامك وحجتك، وأنت الحالف لهما، وإن نويت أو عقدت أو أخرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به فهذه اليمين من

أولها إلى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك إلا الوفاء بها، والقيام بما عاهدت بيني وبينك، قل: نعم، فيقول: نعم" (المقريزي، المصدر نفسه، المكان نفسه).

وبالعودة إلى الحوار بين العالم والغلام وهو مضمون الكتاب الذي ألفه جعفر بن منصور اليمن ذكر فيه تفاصيل ما يجب أن يقوم به الداعي (العالم) مع المدعو (الغلام) وهي الخطوات ذاتها التي يتبعها الداعي مع المدعو وهو الراغب في الانتماء للدعوة، فبعد أن ذكر له الشروط الخمسة، انتقل إلى العهد الذي يأخذه الداعي على المدعو، وقد ذكر الباحث العهد مفصلا من مصدر آخر.

ب- طريقة أداء المدعو للعهد:

"وأقبل العالم يتلو العهد على الغلام ويرتله له ويعقده عليه والغلام لا يملك نفسه جزعا ودموعه تتحدر من شدة العبرة حتى بلغ به آخر العهد فحمد الله وأثنى عليه وشكر عليه ما أوصله إليه وأيقن أنه قد صار في حزب الله وحزب أوليائه بقبول عهدهم" (جعفر بن منصور اليمن، العالم والغلام، مرجع سابق، ص23).

3- الأسلوب التربوي الذي يتبعه الداعي في عرضه أفكار الدعوة للمدعو:

وبعد أداء الغلام (المدعو) للعهد يبدو للباحث من خلال اطلاعه على بعض أفكار الدعوة الإسماعيلية أن الداعي يحكم بجدارة انتماء هذا المدعو إلى الدعوة، وعليه فإن إطلاق وصف المدعو تنتهي لانتقاله إلى رتبة المستجيب وهي الرتبة الأولى من مراتب المؤمنين التي يسمونها مراتب الدعوة، وفي هذه الرتبة يبدأ العالم في الشرح والبيان للمبادئ والأفكار والمنطلقات الفلسفية والمنطقية التي يؤمنون بها بالتدريج بدءاً من كيفية خلق الأشياء انطلاقا من قول الله تعالى للأشياء التي خلقها (كن فيكون) وهي سبعة أحرف أصول تفرع منها سبعة أشياء، وهكذا يتمحور الكلام حول الحروف السبعة من السماوات السبع والأرضين السبع إلى أن يصل إلى الأئمة السبعة (جعفر بن منصور اليمن، المرجع السابق، المكان نفسه).

ثم ينتقل العالم (الداعي) في حديثه مع الغلام (المستجيب) إلى بيان المثل والممثول فيسأل الغلام العالم عن "مثل السماء يطويها على الأشياء واتساع أقطارها حتى حوت جميع الأشياء؟ فيقول العالم: مثلها مثل الإمام الناطق الذي علا على جميع الخلق بفضله وارتفاع درجاته وحوى على جميع أحكام الشريعة لسعة علمه، ويمثل البروج الإثني عشر وسائر نجومها مثل الإثناعشر نقباء الإمام الناطق، ونجومها دعاتها التي تدعو إلى الخير بإذن ربها" (جعفر بن منصور اليمن، المرجع السابق نفسه، ص28).

ويتدرج الحوار حول المسائل التي يعتقدها الإسماعيلية ومنها حوارهما حول علم الظاهر والباطن وهل من علم الظاهر والباطن كان مؤمنا؟ فيقول العالم: نعم مؤمن حقا.

الغلام (المستجيب) العالم (الداعي) عن بدء الخلق وتركيبهم أهو سواء خلق واحد أم مختلف كاختلاف الآراء والأهواء؟ فيجيب العالم: "إن خلق الأجسام مخلوق من اختلاف الألسن والألوان فهو دليل على القدرة على ثبوت الآيات ليتعارف الخلق بينهم فيعرف الولد منهم والده ويعرف الرجل امرأته دون غيرها، وتعرف المرأة زوجها دون غيره عدلا من الله في خلقه.

"فأما خلق الآلة في الجوارح ما ظهر منها وما بطن فهو خلق واحد فيدلك منها ما ظهر على ما بطن" (المرجع نفسه، ص38–39).

ويتدرج الحوار إلى سؤال الغلام (المستجيب) العالم (الداعي) عن اختلاف الناس في الدنيا على طبقات أغنياء وفقراء وأنهم في سوء العاقبة سواء ولبعضهم شأن دون بعض، فيجيب العالم: "إن من عدل الله أن يلحق بعضهم لبعض ولا يفردهم من أخلائهم وأهل مودتهم فهم في عذاب الله سواء كما كانوا على معصيته مجمعين" (المرجع نفسه، ص39).

وينتقل الحوار إلى الحديث عن درجات الناس في الدين، فيسأل الغلام العالم قائلا: "أفرأيت هذا الدين الذي أكرمه فأكمله ورضي له دينا وافترضه

على عباده هل يقبل منهم بعضهم دون بعض فيكونون فيه طبقات كأهل الدنيا أم لا يقبل منهم إلا من أتى به كاملا؟ فيجيب العالم: إن كل أهل الدنيا في الدنيا هم طبقات، فإن أهل الدين في دينهم درجات، وإن من الواجب في العدل عبادة الخالق بكمال ما أراد، ولكن عظم غناؤه منهم وعظمت فاقتهم إليه، واتسعت رحمته لهم، وعلم أن فيهم ضعفاء فقبل عنهم ما تيسر من النصح في العمل وبذل المجهود في الطاعة ما قل من ذلك أو كثر".

"ثم كلف من العلم كلا على قدر طاقته وعمله وآتى كل ذي فضل فضله منهم في درجات عند ربهم، ثم جعل لهم عاقبة الطاعة بعدله أن يلحقهم بأهل الدين الكامل والعمل الفاضل من عباده قال تعالى{ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله}النساء آية 69، ببذلهم المجهود في الطاعة ليس بأعمالهم من الصالحين لكن رحمة من الله لهم وإن ضعفوا وضعفت أعمالهم" (جعفر بن منصور اليمن، المرجع نفسه، ص40).

وأخيرا يسأل الغلام العالم ويطلب منه أن يبين له غاية العمل في نفسه وما يجب لله عليه فيها؟ فيقول العالم: "إن طاعة الله لتشرف أهلها وإن ضعفت أصولهم، وإن العمل الصالح لتاج العاملين، فأما ما يجب عليك في نفسك فأداء الفريضة كلها، واجتناب المحارم كلها، فإن ذلك ملاك الدين وزكاة الأبدان، وجملة ما يوجب لك الرضى من الله وقبوله عنك أن يأتيه إليك وتنكف عنه ما تحب أن يكفه عن نفسك فإن في ذلك عدلا ولله في العدل رضى" (المرجع نفسه، ص41).

قال الغلام: نعم هذا هو الحق الواجب ومن لم يفعل ذلك فليس من الله في شيء، فهل فيما ذكرت فسحة من الضرورة؟ قال العالم: فإن الله قد بسط ذلك لعباده رأفة ورحمة، قال تعالى{فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه}البقرة آية 173.

ثم يسأل الغلام العالم عن الواجب عليه في ماله؟ قال العالم: أما مالك فهو ما أفاء الله عليك من جميع المكاسب، فلا تأخذ إلا من حله ولا تصرفه إلا في حقه". قال الغلام وما حله الذي يؤخذ منه، وما حقه الذي يصرف فيه؟ قال العالم: أما حله فطيب المكاسب التي لم تظلم فيها أحدا ولم تشبه بالكذب، أما حقه فزكاته أن تنظر إلى جميع ما حصل معك مما قل منه أو كثر فتخرج خمسه من أطيبه لك وأحبه إليك فتدفعه إلى من وجب حقه عليك فعند ذلك يزكو مالك بالصدقة كما زكى بدنك بالعمل والعمل جنة والزكاة طهارة وقد أفلح من تزكى" (المرجع نفسه، الصفحة نفسها).

وبعد أن يتلقى المستجيب هذه المعارف (الآداب) في هذه المرتبة ويستوعبها ويؤمن بها، ويتأكد الداعي أو مجموعة من الدعاة من ذلك، يتم نقل المستجيب إلى المرتبة الثانية التي هي رتبة المؤمن، وهكذا يتم التدرج مع المؤمنين في عرض أفكار الدعوة (آدابها) وكلما انتقل إلى مرتبة أعلى تتوسع المعارف والأفكار (الآداب) التي يسمح له بدراستها واستيعابها والإيمان بها، ويظل يتدرج في المراتب تصاعديا من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها حتى يصل إلى المرتبة الأخيرة من مراتب الدعوة، وهذه المراتب سيتناولها الباحث فيما يأتي:

رابعاً– الطريقة التنظيمية والتربوية المتعلقة بتحديد مراتب المدعوين وموضوعات كل مرتبة:

اتضح مما سبق ذكره أن المدعو الراغب في الانتماء بعد أن يتأكد الداعي من حقيقة هذه الرغبة فإن هذا المدعو والذي يصبح مستجيبا بعد أداء العهد يمر بمراتب (منازل) متدرجة مرتبة بعد أخرى حتى يصل إلى أعلى مرتبة (منزلة) فالمرتبة الأولى وهي مرتبة المستجيب مع التأكيد على مسألة مهمة هنا وهي أن هذه المراتب التي يتدرج فيها المؤمنون هي غير مراتب الدعاة، وهذه المراتب يوصلها بعض المؤرخين كالمقريزي إلى تسع مراتب، في حين يرى بعض المؤرخين كالداعي علي بن الوليد أنها سبع مراتب فقط، ويرجح الباحث قول الداعي علي بن الوليد بالنظر

إلى ما للرقم سبعة عند الإسماعيليين من معاني ومدلولات أو تأويلات لهذا الرقم حيث تدور كثير من أفكارهم وكثير من مبادئ عقيدتهم في الدعوة والإمامة ومسائل أخرى حول هذا الرقم بدءاً من السموات السبع والأرضين السبع إلى الأئمة السبعة المعتقد بإمامتهم عند الإسماعيلية، إلى المراتب السبع إلى آخر تلك التأويلات.

ويذكر حسن إبراهيم أن "الإسماعيلين كانوا يخفون ما يريدون أن يحملوا الناس على اتباعه، ويظهرون أمامهم بأمور أخرى تحبب إليهم المذهب الإسماعيلي الذي يدعو إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، لذلك ابتدعوا دعوة منظمة قسموها منذ نشأتهم إلى سبع درجات، ثم أصبحت تسعا في أيام الفاطميين" (حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في مصر وسوريا وبلاد العرب، ص338).

والباحث فيما يأتي سيتحدث عن هذه المراتب، وسيشير لما تتضمنه كل مرتبة من موضوعات، لكنه سيتحدث بالتفصيل عن المرتبة الأولى كنموذج للمراتب الأخرى، ثم بعد ذلك سيقتصر على ذكر الموضوعات التي تعطى للمؤمنين في كل مرتبة.

مما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذا المستجيب الذي يمثله الغلام في الحوار السابق هو نموذج لكل مستجيب، فبعد أن يجتاز هذا الحوار الذي يتم على منازل (مراتب) متدرجة تبدأ عقب أخذ العهد منه يدرج في المرتبة الأولى من مراتب الدعوة وتطلق عليه صفة أو مسمى مستجيب ويتلقى في هذه المرتبة زاداً فكريا يتناسب معها، وهذا الحوار السابق بل وما يقدم من أفكار ومبادئ ومعلومات في كل مرتبة (منزلة) من مراتب (منازل) المؤمنين هي ذاتها التي يتلقاها المؤمنون في كل جزيرة أو بلد أو منطقة، وكل مرتبة بها دعاة مهمتهم محددة في القيام بهذه العملية التعليمية والتربوية والدعوية في الموضوعات المحددة لهم مسبقا دون زيادة ولا نقصان.

أما الموضوعات والأفكار فيتلقاها المؤمنون في كل مرتبة (منزلة) من مراتبهم التي يتدرجون إليها تدرجا رأسيا من الأدنى إلى الأعلى من المرتبة (المنزلة) الأولى وحتى التاسعة أو السابعة على الأرجح آخر وأعلى هذه المراتب (المنازل)، وقد سمى المقريزي ما أطلق عليه اسم المراتب أو المنازل: "وصف الدعوة وترتيبها"، وقال: "إن الدعوة كانت مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة"، علما أن هذه الدعوات أو المراتب أو الدرجات أو المنازل يمكن أن تكون بمثابة الصف الدراسي في التعليم العام، أو المستوى أو السنة الدراسية للمتعلم في التعليم الجامعي في العصر الحاضر، ويعتقد الباحث أن هذه المراتب يمكن أن تماثل مرحلة التعليم العالي (الجامعي) لدى المذاهب الإسلامية السنية في ذلك العصر مع الفارق في مسميات المعلمين والمتعلمين ومحتويات المقررات الدراسية، والطرق والأساليب المتبعة في التعليم، والسلم التعليمي.

المرتبة (المنزلة) الأولى وموضوعاتها الفكرية:

لما كانت المرتبة الأولى هي أول المراتب التي يوضع فيها المستجيب فإنها بحاجة إلى زيادة بيان وإيضاح، من أجل ذلك فإننا نستعين بالداعي الفاطمي اليماني علي بن الوليد ليوضح هذه المرتبة بشكل جيد حيث يقول: "فإذا أخذ على المستجيب العهد الكريم كان بمنزلة السلالة المنسلة من ظهر الأب إلى بطن الأم المنتقلة من حالة إلى حالة، وسبيل فحمة قد جاورتها جمرة نار فأنارت فيها حرارة ولم يبد فيها إضاءة ولا إنارة قد تميز من الهمج والرعاع، ونسب إلى الأولياء والأتباع، وعرف أنه من أهل الإيمان، وكان في أول رتب الدين المفضل على سائر الأديان، ودخل الحرم الأمين، وحاز أولى درجات المتقين" (كتاب الذخيرة في الحقيقة، ص66).

أما موضوعات (آداب) المرتبة (المنزلة) الأولى فيتم من خلالها التأكيد على ضرورة وجود أئمة تؤخذ عنهم الشريعة على اعتبار أن الشريعة لها ظاهر وباطن وأن عند الأئمة وحدهم علم الباطن.

موضوعات (آداب) هذه المرتبة (المنزلة) التي يعنى الداعي بغرسها في المستجيب تتعلق بالشريعة ومصدرها وظاهرها وباطنها، وذلك بعد إقناعه بما خص الله به الأئمة من علم وإيمانه بهذه الحقيقة التي لو عرفتها الأمة ما حصل بينها اختلاف.

فإذا تقرر ذلك عند المستجيب بدأ الداعي في طرح المسائل الآتية:

1 -يطرح الداعي معاني القراءات وشرائع الدين، وتقرير أن الآفة التي نزلت بالأمة وشتتت الكلمة وأورثت الأهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم، وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها، وأن الناس عندما عدلوا عن هؤلاء الأئمة ونظروا في الأمور بعقولهم واتبعوا ما حسن في رأيهم وقلدوا سفلتهم وأطاعوا سادتهم وكبراءهم، وتغيير كتاب الله عز وجل وتبديل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة دعوته وإفساد شريعته وسلوك غير طريقته ومعاندة الخلفاء الأئمة من بعده، صار الناس إلى أنواع الضلالات. وأن دين محمد صلى الله عليه وسلم ما جاء بالتحلي ولا بأماني الرجال ولا شهوات الناس، ولا بما حف على الألسنة وعرفته دهماء العامة، ولكنه صعب مستصعب وأمر مستقبل، وعلم خفي غامض ستره الله في حجبه، وعظم شأنه عن ابتذال أسراره فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى.

فإذا ارتبط المدعو (المستجيب) على الداعي وأنس له نقله إلى غير ذلك". (المقريزي، المرجع السابق، ج2، ص123–124).

ويؤكد الداعي علي بن الوليد على أن موضوع هذه المنزلة أو المرتبة هو تعلم علوم الشريعة حيث يقول: "فإذا تعلم علوم الشريعة وتأويلها والرياضة وصارت نفسه بالطهارة عن الخبائث معتاضة، واصطنعه مفيده واصطفاه وقربه وأدناه، وحباه بمواده واجتباه، وفتح له في علم الحقيقة بابا، وكشف من الأسرار الإلهية

حجابا، وأكد عليه المواثيق وشدد، وبسط له من العلوم ما أعلى صورته فوحد وهو يعرف من وحد... " (علي بن الوليد، كتاب الذخيرة في الحقيقة، مرجع سابق، ص66).

ثم يضيف قائلا: "وهي رتبة المؤمن الذي سبيله سبيل النطفة الحادثة بين الأب والأم الحاوية من ترتيب الجنين في بطن أمه للتقدم.. " (علي بن الوليد، المرجع السابق، الصفحة نفسها).

2 -في هذه المرتبة (المنزلة) يطرح العالم على المؤمن جملة مسائل تتعلق بالتأويل الباطني للكثير من مسائل العبادة والعقيدة منها:

ما معنى رمي الجمار والعدو بين الصفا والمروة؟ ، ولم كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر؟ .

ما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام ؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنى الصراط والكاتبين الحافظين وما لنا لا نراهما؟ ، وما تبديل الأرض غير الأرض؟ ، وما عذاب جهنم؟ ، وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية؟ ، وما إبليس؟ وما الشياطين وما وصفوا به وأين مستقرهم وما مقدار قدرهم؟ وما يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت وأين مستقرهم؟ وما سبعة أبواب النار وما ثمانية أبواب الجنة؟ وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم؟ وما دابة الأرض؟ ورؤوس الشياطين والشجرة الملعونة في القرآن والتين والزيتون؟ وما الخنس الكنس؟ ، وما معنى ألم وألمص، وما معنى كهيعص؟ ". (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص124).

"لم جعلت السماوات سبعا والأرضون سبعا والمثاني من القرآن سبع آيات؟ ولم فجرت العيون اثنتي عشرة عينا؟ ولم جعلت الشهور اثنا عشر شهرا؟ . وما يعمل معكم عمل الكتاب والسنة ومعاني الفرائض اللازمة؟

فكروا أولا في أنفسكم. أين أرواحكم وكيف صورها وأين مستقرها؟ وما أول أمرها؟ . والإنسان ما هو وما حقيقته؟ ، وما الفرق بين حياته وحياة البهائم؟

وفضل ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات؟ وما الذي بانت به حياة الحشرات من حياة النبات؟ وما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ": خلقت حواء من ضلع آدم؟ وما معنى قول الفلاسفة: الإنسان عالم صغير والعالم إنسان كبير؟ ولم كانت قامة الإنسان منتصبة دون غيره من الحيوانات؟ " (المقريزي، المصدر السابق، ج2، ص124–125). إلى آخر المسائل التي تدور حولها عقائد الإسماعيلية في التأويل الباطني لكل المعاني الظاهرة.

المرتبة (المنزلة) الثانية وموضوعاتها الفكرية:

في المرتبة الثانية يتم التأكيد على أن لا تؤخذ الشريعة إلا عن الأئمة ولا تؤخذ من أحد سواهم. (انظر تفاصيل ذلك في: المقريزي، الخطط المقريزية ج2، ص 127).

المرتبة (المنزلة) الثالثة وموضوعاتها الفكرية:

في هذه المرتبة يتم تقرير أن هؤلاء الأئمة الذين تؤخذ الشريعة عنهم سبعة أئمة. (انظر تفاصيل ذلك في: المقريزي، الخطط المقريزية ج2، ص127–128).

المرتبة (المنزلة) الرابعة وموضوعاتها الفكرية:

في هذه المرتبة يتم تقرير أن عدد الأنبياء الناسخين للشرائع سبعة كالأئمة تماما. (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص128–129).

المرتبة (المنزلة) الخامسة وموضوعاتها الفكرية:

في هذه المرتبة يتم تقرير ضرورة أن يكون مع كل إمام في كل عصر حجج متفرقون في الأرض عددهم اثنا عشر حجة. (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص130).

المرتبة (المنزلة) السادسة وموضوعاتها الفكرية:

في هذه المرتبة يتم تفسير معاني شرائع الإسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر. (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص130–131).

المرتبة (المنزلة) السابعة وموضوعاتها الفكرية:

في هذه المرتبة يتم تقرير أن صاحب الدلالة والناصب للشريعة لا يستغني بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الأصل والآخر عنه كان وصدر، وهذا إنما هو إشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي. (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص131).

المرتبة (المنزلة) الثامنة وموضوعاتها الفكرية:

في هذه المرتبة يتم تقرير أن أحد المذكورين اللذين هما مدبرا الوجود والصادر عنه إنما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول، وأن التالي يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق، وأن الصامت في الأرض يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء، وأن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء، وهكذا تجري أمور العالم في أكواره وأدواره.

فإذا اعتقده المؤمن قرر عنده الداعي أن معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوي معاني فلسفية تنبئ عن حقيقة آنية السماء والأرض وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والأعراض فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة بإفصاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس، ويقرر عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها غير ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن إليه وليس هو إلا حدوث أدوار عند انقضاء أدوار من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد ما جاء على ترتيب الطبائع، كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم، فإذا استقر هذا عند المدعو نقله الداعي إلى الدعوة التاسعة. (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص132–133).

المرتبة (المنزلة) التاسعة وموضوعاتها الفكرية:

في هذه المرتبة تكون موضوعاتها هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه فإذا تيقن أن المؤمن تأهل لكشف السر

والإفصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة، والعلم الإلهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال: ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المبادئ وتقلب الجوهر وأن الوحي إنما هو صفاء النفس فيجد النبي في فهمه ما يلقى إليه ويتنزل عليه فيبرزه إلى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة... " (المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص133).

مما سبق تبين أن المقريزي يساوي بين مراتب المستجيبين ومراتب الدعاة أو الحدود فيجعلها تسع مراتب، على حين نجد من يفرق بين مراتب الدعاة أو الحدود وبين عدد المراحل في كل مرتبة كما ذكر ذلك الداعي علي بن الوليد حيث ذكر أن "كل رتبة من رتب الدين تحوي سبع مراتب" (علي بن الوليد، كتاب الذخيرة في الحقيقة، ص7).

كانت تلك نبذة عن تنظيم الدعوة الإسماعيلية الدعوي والتربوي لجوانب هامة ترتكز عليها الدعوة برمتها متمثلة في هيكلة دعاة الدعوة على مستوى العالم كله ثم على مستوى الجزر أو الأقاليم، ثم تنظيم عمل الدعاة ومهامهم ووظائفهم بدقة متناهية وهم العمود الفقري لنجاح الدعوة واستمرار وجودها في كل الظروف التي مرت بها منذ انطلاقها حتى الوقت الحاضر، مع الوسائل والآليات والطرائق المنظمة تنظيما دقيقا لجهود الدعاة المعنيين باستقطاب المدعوين والشروط الواجب توفرها في هؤلاء الدعاة ثم الشروط الواجب توفرها في المدعوين وكذا الخطوات التي يتم الالتزام بها من الدعاة مع المدعو حتى يتضح أهليته لأن يكون عضوا مقبولا فتؤخذ عليه العهود والمواثيق، وأخيرا نبذة عن مراتب الدعوة التي يتدرج فيها المستجيب بعد أن يصبح عضوا مقبولا في الدعوة والموضوعات أو الآداب التي يتلقاها في كل مرتبة أو درجة.

النتائج

بعد الانتهاء من البحث خلص الباحث إلى النتائج الآتية:

أولاً: فيما يتعلق بالسؤال الفرعي الأول:

1 -"أظهرت الطريقة التنظيمية المتعلقة بترتيب الدعاة وتحديد وظائفهم على مستوى الدعوة كلها أن الإسماعيلية أتقنت تنظيمها ووفرت له كافة الأسباب التي تنقل التنظيم إلى حكم ودولة، من أسباب عسكرية، وأمور مادية، واختيار كفاءات عالية لها المقدرة على التخطيط والتنفيذ" (علي الصلابي، الدولة الفاطمية، ص171).

2 -أظهرت الطريقة أن التنظيم الدعوي والتربوي عند الإسماعيلية قام على نظام فكري دقيق، يعد جزءا أساسيا من النظام الفكري الذي ينظم الدعوة من جميع جوانبها، ويعد من أسباب نجاحها، رغم كثرة المخالفات الصريحة للعقيدة الإسلامية الصافية، وهذه المخالفات كانت سببا في كثرة الخصوم.

ثانياً: فيما يتعلق بالسؤال الفرعي الثاني:

1 -الطريقة التنظيمية والتربوية المتعلقة بالدعاة أظهرت أن هناك شروطاً ومعايير في اختيار الدعاة، وأنهم يخضعون لإعداد علمي يتناسب مع وظائفهم ومهماتهم التي يكلفون بها.

2 -أظهرت أن الدعاة الذين يباشرون أعمال الدعوة مع المدعوين يسمون بالمكاسرين أو المكالبين وهم الذين يحملون أعباء الدعوة ومسئوليتها، وأعباء التعليم والتربية للمدعوين، وأعباء الدفاع عن الدعوة وفكرها ومعتقداتها بالنقاش والحوار، أو المناظرة والمجادلة مع خصوم الدعوة.

3 -أظهرت الطريقة أن أهم عمل تنظيمي دعوي وتربوي هو العمل (الإستقطابي) الذي يقوم به المكاسرون والمكالبون، فهم يبذلون جهودا كبيرة ويقومون بعمل شاق ومضني، ولذلك يشترط في المكاسر والمكالب أن يكون كل منهما على درجة كبيرة من الثقافة والعلم إضافة إلى شروط أخرى منها: صفات شخصية وعلمية، وصفات خلقية.

4 -أظهرت الطريقة أن الداعي المكاسر والمكالب يسير في عمله مع المدعو وفق طرائق وخطوات محددة مسبقا عليه اتباعها في جذب الأنفس (الاستقطاب).

5 -أظهرت الطريقة أن الداعي يسير مع من خطط لجذبه إلى الدعوة (استقطابه) وفق خطوات متدرجة بهدف الوصول به إلى الاقتناع والقبول بالانتماء إلى الدعوة.

ثالثاً: فيما يتعلق بالسؤال الفرعي الثالث:

أظهرت الطريقة التنظيمية والتربوية المتعلقة بالمدعوين أن هناك شروطا خَلقية في المدعو، وشروطا خُلقية، وشروطا عملية سلوكية يتم من خلالها التأكد من التزامه بمبادئ الدعوة وآدابها ومعتقداتها.

رابعاً: فيما يتعلق بالسؤال الفرعي الرابع:

1 -أظهرت الطريقة التنظيمية والتربوية المتعلقة بتحديد مراتب المدعوين أن الداعي يأخذ العهد على المدعو (المستجيب) ويؤدي المدعو العهد.

2 -أظهرت الطريقة أن الداعي يبدأ في شرح مبادئ وأفكار وعقائد الدعوة في موضوعات فكرية متنوعة ومتدرجة للمدعو في كل مرتبة من مراتب الدعوة تتوسع كلما تدرج المدعو في المراتب حتى يصل إلى آخر المراتب.

3 -أظهرت الطريقة أن الموضوعات الفكرية التي حددت مسبقا في النظام الفكري الكلي للدعوة تتمحور حول العقيدة الإسماعيلية، يتم تقديمها بتدرج للأتباع بحيث لايصل المدعو إلى آخر المراتب إلا وقد تمكن من كل العقائد والمبادئ الإسماعيلية.

التوصيات

يوصي الباحث العاملين في مجال الدعوة الإسلامية بالتوصيات الآتية:

1 - توحيد جهود العاملين من العلماء والخيرين، وتنظيم وترتيب أولويات ومهام الدعوة في الوقت الحاضر وإشراك كل الفئات التي يمكن الاستفادة منها في هذا المجال.

2 - الاستفادة من وسائل الاتصال والتقنيات الحديثة في خدمة الدعوة.

3 - الاعتماد على التخطيط الاستراتيجي الدقيق في نشر الدعوة الإسلامية، وفي الرد على الافتراءات والشبه التي يثيرها الأعداء والرد الموضوعي عليها.

4 - يوصي الباحث الجهات المعنية بالتربية والتعليم في المجتمع بضرورة تحصين النشء من كل الانحرافات الفكرية من خلال تضمين المناهج الدراسية معلومات وموضوعات تعمق العقيدة الصحيحة عندهم وتحارب الدجل والشعوذة والتضليل.

5 - يوصي الباحث القائمين على إعداد المناهج الدراسية وتطويرها بضرورة تضمين هذه المناهج موضوعات تتعلق بالحوار وتقبل النقد من الآخرين، والتعايش مع المخالف أيا كان فكره مع الحوار معه بالتي هي أحسن دون اللجوء إلى الإرهاب الفكري أو الإقصاء أو الإلغاء فذلك يتعارض مع أخلاق الإسلام.

المراجع

القرآن الكريم.

تقي الدين بن أحمد بن علي المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، الجزء الثاني، تحقيق: د. محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي: القاهرة، ط 1، 1998م.

جعفر بن منصور اليمن، **كتاب العالم والغلام**، تقديم وتحقيق: مصطفى غالب ضمن كتاب بعنوان: أربعة كتب حقانية (قام بتحقيقها وضمها في كتاب واحد)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت، ط 2، 1407هـ/1987م.

حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب**، مكتبة النهضة: القاهرة، ط2، 1958.

حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الثالث**، دار إحياء التراث العربي، دون بلد نشر، ط 7، 1965م.

حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الرابع**، دار إحياء التراث العربي، دون بلد نشر، ط 1، 1967م.

اللواء حسن صادق، **جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات**، مكتبة مدبولي: القاهرة، 1411هـ/1991م.

شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي، **الدستور ودعوة المؤمنين**، الرسالة الثانية ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية، تقديم وتحقيق: عارف تامر، دار ومكتبة الحياة بيروت، ط2، دون تاريخ.

شهاب الدين أبو فراس، **مطالع الشموس في معرفة النفوس**، الرسالة الأولى ضمن أربع رسائل إسماعيلية، تقديم وتحقيق: عارف تامر، دار ومكتبة الحياة: بيروت، ط2، دون تاريخ.

الطيب بن عبد الله بن أحمد با مخرمة، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، تحقيق: عبد الغني علي الأهجري، وزارة الثقافة والسياحة: صنعاء، 1425هـ/2004م.

عارف تامر، **تاريخ الإسماعيلية (الدعوة والعقيدة)**، الجزء الأول، رياض الريس للكتب والنشر: لندن وقبرص، ط1، 1991م.

عارف تامر، **تاريخ الإسماعيلية، الجزء الثاني (من المغرب إلى المشرق)**، رياض الريس للكتب والنشر، لندن وقبرص، ط 1، 1991م.

عبد الله عبد الوهاب الشماحي، **اليمن الإنسان والحضارة**، دار الكلمة: صنعاء، ط2، 1984م.

علوي الجبل، **الشيعة الإسماعيلية رؤية من الداخل**، دار الأمل: القاهرة، دون طبعة، 2002م.

علي محمد الصلابي، **الدولة الفاطمية**، مكتبة جزيرة الورد: القاهرة، ومكتبة الإيمان: المنصورة، ط 1، 2005م.

علي بن الوليد (الداعي الفاطمي) (ت/612هـ) **كتاب الذخيرة في الحقيقة**، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة: بيروت، دون طبعة، 1971م.

محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكر العربي: القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.

محمد جواد مغنية، **الشيعة في الميزان**، دار التعارف للمطبوعات: بيروت، ط 4، 1399هـ/1979م.

محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري، **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**، حققه وعلق حواشيه: محمد بن علي الأكوع الحوالي، مركز الدراسات والبحوث اليمني: صنعاء، ط 1، 1415هـ/1994م.

محمد يحي الحداد، **التاريخ العام لليمن التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، اليمن في موكب الإسلام**، المجلد الثاني، وزارة الثقافة والسياحة: صنعاء، دون طبعة، 1425هـ/2004م.

مصطفى غالب، **أعلام الإسماعيلية**، دار اليقظة العربية: بيروت، دون طبعة، 1964م.

مصطفى غالب، **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، دار الأندلس للطباعة والنشر: بيروت، ط 2، 1965.

النعمان بن محمد بن حيون المغربي التميمي قاضي قضاة الدولة الفاطمية (ت/363هـ) **تأويل الدعائم المسمى تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين**، تحقيق: محمد حسن الأعظمي، دار المعارف: القاهرة، ط2، دون تاريخ.

الموسوعة اليمنية، الجزء الأول، مؤسسة العفيف: صنعاء الجمهورية اليمنية، ط 2، 1423هـ/2003م.

نشوان بن سعيد الحميري، **الحور العين**، تحقيق: كمال مصطفى، دار آزال للطباعة: بيروت، والمكتبة اليمنية: صنعاء، ط2، 1985م.